المنابر الشافعية في البحور الذهبية

د٠ نور علي محمود أحمد (*)

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، وقابل التوب من التائبين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله ربه رحمة للعالمين وجعله إماماً للمتقين وخاتماً للأنبياء وسيداً للمرسلين، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه حفظة القرآن الكريم وحملة السنة الغراء، وعلى إخوانهم من المحدثين والعلماء ما بقيت الأرض والسماء ، فلقد أرسله الله تعالى على حين فترة من الرسل وضلالة من الناس، فمحى الله تعالى بمجيئه ظلمات الكفر والجهل، وهدى به إلى أقوم الطرق وأفضل السبل، وأوجب على العباد محبته وتوقيره، وافترض عليهم طاعته وتعظيمه، وجعل محبته سبحانه وتعالى في اتباعه وطاعته عز وجل في طاعته صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:(**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**)(١)، وقال تعالى: (**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**)(٢)، ولقد عرف السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم للسنة قدرها ومكانتها، فبذلوا كل ما في وسعهم من أجل الحفاظ عليها، فأودعوها صدورهم وحكموها في كل شئونهم واستشهدوا بها في كل ما يعتريهم من نوازل وأحداث يرويها الخلف عن السلف، حتى وصلت إلينا كاملة ليس فيها تحريف أو ضياع،

(*) دكتوراه في الشريعة الإسلامية – كلية دار العلوم جامعة القاهرة.

(١) سورة آل عمران الآية ٣١.

(٢) سورة النساء الآية ٨٠.

وكما حفظ الله تعالى القرآن الكريم وصانه من التحريف والتبديل، كذلك حفظ السنة وصانها برجال أمناء وحفاظ عدول نفوا عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فلقد رحلوا من أجلها إلى أقصى البلاد، وتحملوا في سبيلها المشاقة والصعاب وركبوا في سبيل تحصيلها المخاوف والأهوال، وبذلوا من أجل حبها والتمسك بها الأنفس والأموال، وكان من هؤلاء الأئمة الذين تفضل الله تعالى بشرف الانتساب إلى الحديث وروايته والرحلة في طلبه وتحصيله الإمام الحافظ القدوة العلامة محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى ورضي عنه، والذي أكرمني الله تعالى بشرف الدراسة لبعض مؤلفاته لأرى شيئاً من بعض جهوده العلمية في علم الفقه والعقيدة الإسلامية الصحيحة، وذلك لإظهارها لمن لا علم له به، وكان موضوع هذا البحث (المنابر الشافعية في البحور الذهبية)، فقد رزقه الله تعالى بحوراً من العلوم وهذه العلوم كتبت بأحرف من نور على صفحات من ذهب، وقد أبقى الله تعالى هذا العلم يدرس لطلاب العلم والعلماء ليدل على ورع الإمام الشافعي رضى الله عنه وتقواه، وصدق فيه قوله تعالى:(**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**)[1] .

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٢.

تمهيد

تعريف المنابر في اللغة: قال ابن منظور: النبر صيحة الفزع ونبرة المغنى: رفع صوته عن خفض، ونبر الغلام ترعرع والمنبر مرقاة الخاطب؛ سمي منبر لارتفاعه، وانتبر الأمير: أي ارتفع فوق المنبر(١). وقال صاحب معجم اللغة العربية المعاصرة: مادة نبر: منبر مفرد والجمع منابر: منصة مرقاة يصعد عليها الخطيب من إمام وغيره ليسمعه ويراه الناس، صعد الإمام المنبر يوم الجمعة ارتقى ليخطب في الجمهور قال صلى الله عليه وسلم: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة (متفق عليه)(٢)، وفي الاصطلاح : مرقاة يرتقيها الخطيب أو الواعظ في المسجد ليسمعه ويراه الناس(٣). بحر : البحر : الماء الكثير، ملحا كان أو عذبا، وهو خلاف البر، سمي بذلك لعمقه واتساعه، وقد غلب على الملح حتى قل في العذب، وجمعه أبحر وبحور وبحار. وماء بحر : ملح، قل أو كثر ؛ قال نصيب:

وقد عاد ماء الأرض بحرا فزادني إلى مرضي، أن أبحر المشرب العذب

البحر يطلق في اللغة على الماء في حالة انبساطه واتساعه، قال ابن فارس : "الْبَاءُ وَالْحَاءُ وَالرَّاءُ. قَالَ الْخَلِيلُ: سُمِّيَ الْبَحْرُ بَحْرًا لِاسْتِبْحَارِهِ وَهُوَ انْبِسَاطُهُ وَسَعَتُهُ. وَاسْتَبْحَرَ فُلَانٌ فِي الْعِلْمِ، وَتَبَحَّرَ الرَّاعِي فِي رِعْيٍ كَثِير(٤)، ومنه الْحَدِيثُ: «أَبَى ذَلِكَ البَحْر ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»، سُمِّيَ بَحْرًا لسَعة علْمه وكَثْرَتِه (٥).

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٨٩/٥ مادة نبر.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة د/ أحمد مختار عمر ٢١٥٧/٣مادة نبر.

(٣) المعجم الوسيط ٨٩٧/٢.

(٤) مقاييس اللغة دار الفكر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. مادة بحر .

(٥) أساس البلاغة: الزمخشري دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان:ط١/ ١٩٩٨م. مادة بحر .

أما في الاصطلاح: فجوة في اليابسة مملوءة بالمياه وأنواع الحيوانات[١]، وقيل البحر: مستقر الماء الواسع بحيث لا يدرك طرفيه من كان في وسطه[٢]، يتبين لنا من التعريف الاصطلاحي استناده إلى المعنى اللغوي، فإن الأتساع والعمق هما أساس البحر، إلا أن بعض أهل الاصطلاح رقبوا في البحر بتقدم الزمان عدم إدراك طرفيه بمن حل فيه كما ذكروا ملوحة مائه أو عذوبته، إلا أنهم استبعدوا العذوبة بالتجربة مع أن القرآن أطلقه على العذب والمالح .

الذهبية : القطعة من الذهب، وأيضا سفينة تثبت مراسيها للإقامة بها ، وحقبة من الزمن تميزت بالازدهار والمنجزات العلمية والثقافية[٣].

أولا : أهمية البحث:

١-بيان جهود الإمام الشافعي رضي الله عنه مؤلفاته ومدى استفادة الدعاة منه .

٢-معرفة مصنفات الإمام الشافعي رضي الله عنه.

٣-الالتزام بالسنة النبوية يحقق معنى العبودية لله تعالى. ("من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً)" [٤].

٤-السنة النبوية هي المحور الأساسي للمسؤولية في الإسلام للفرد والجماعة.

٥-بيان سماحة الإسلام ويسر تعاليمه.

٦-بيان مراعاة السنة النبوية لكافة متطلبات الحياة الإنسانية الراشدة .

ثانيا : أهداف البحث:

- الرغبة الصادقة في بيان جهود الإمام الشافعي رضي الله عنه في مصنفاته العلمية

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر: ط المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٢) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: التهانوي (ت: بعد ١١٥٨هـ) ط١ – ١٩٩٦م.

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ٨٢٤/١ ، المعجم الوسيط ٣١٧/١.

(٤) النساء: آية ٨٠.

- الوقوف على المعرفة الصحيحة للسنة النبوية في تفسيرها واستنباط الأحكام الفقهية منها .
- توجيه الشباب الواعد في المجتمع المسلم لغرس قيمة البحث والقراءة وطلب العلم والتنقيب عن كل علم يفيد الدفاع عن الشريعة الإسلامية.
- مطالبة الإعلام بتحري الدقة في عرض القضايا الخاصة بالسنة النبوية وعدم السماح بإساءة فهم السنة واعتبارها طريقا للقهر والرجعية.
- تقديم المعرفة التامة لعلماء الغرب وخاصة المستشرقين- بأن الإسلام لديه علماء مخلصون يدافعون عن سنة الرسول ﷺ ولا يقبلون منها إلا الصحيح من غير تحريف ولا تبديل .

ثالثا : أسباب اختيار الموضوع:

١- الإعجاب الشديد بشخصية الإمام الشافعي رضي الله عنه وما توصل إليه من العلم ،ومعرفة كل ما مر به من ظروف صعبة ومشقة في طلب العلم.

٢- بيان اهتمام الصحابة رضوان الله تعالى عليهم والتابعين والعلماء المخلصين بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وحفظها من كل ريب.

٣- بيان أهمية السنة النبوية، فهي الأصل الثاني من مصادر التشريع ومرتبتها تلي مرتبة القرآن الكريم .

٤- الكشف عن مصنفات الإمام الشافعي رحمه الله تعالى وآثاره العلمية.

٥- لأن الشافعي رحمه الله أحد الأئمة الأربعة المقتدى بهم في الإسلام في أقواله وفقهه، وهذا مما يجعل العلماء يجلونه ويعتمدون عليه؛ فبيان عقيدته ومنهجه في غاية الاستقامة والهداية للأمة.

٦- إن في إظهار معتقد الإمام الشافعي يعد حجة على كل من ينتحل مذهبه ويخالفه في العقيدة.

رابعا : فروض البحث:

- رحلات الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في طلب العلم .

- مصنفات الإمام الشافعي وآثاره العلمية إجمالا .
- مكانة الإمام الشافعي العلمية وثناء العلماء عليه .

خامسا : منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على عدد من المناهج البحثية التي تفيد في تحديد ملامح البحث وعناصره الرئيسية ، وكان من أهمها :

١- المنهج الاستقرائي :

حيث حاولت مراجعة كثير من كتب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وبخاصة كتابه الرسالة ، وكتابه (الأم) ، ومعرفة منهجه في معتقده.

٢- المنهج التاريخي :

في دراسة عصر الإمام الشافعي من النواحي السياسية ، والاجتماعية ، وكذلك نشأته ورحلاته في طلب العلم بوجه عام ، واستنباط الأحكام الفقهية من النصوص الشرعية الصحيحة، ومعرفة مدى توافر الشروط اللازمة في توثيق هذه النصوص الواردة في هذا البحث ، ومدى صحة نسبتها إلى قائلها ، ومعرفة زمن كتابتها، وأيضا التسلسل التاريخي للأحداث وتسجيلها والوقائع التي حدثت في الماضي وتحليلها على أسس علمية بقصد التوصل إلى الحقائق التي تساعدنا في فهم الحاضر على ضوء الماضي، وما ورد في البحث من (الآيات القرآنية) عزوته إلي السور التي وردت فيها مع ذكر رقم الآية ، واسم السورة، وما ورد من(الأحاديث النبوية) خرجته من المصادر الأصيلة من كتب السنة بادئاً بالصحيحين ما أمكن ، إن لم أجد تجاوزتهم إلي غيرهما مبيناً اسم المصدر، ومؤلفه ، واسم الكتاب والباب ورقم الجزء والصفحة ، ورقم الحديث إن وجد، وقمت بالترجمة الموجزة لبعض الأعلام الذين ورد ذكرهم عبر صفحات البحث قدر الجهد والاستطاعة ، واعتمدت في هذا البحث علي مراجع متنوعة، منها الحديثة والقديمة .

٣- **المنهج التحليلي** : فقد حاولت تحليل جانب كبير مما اطلعت عليه بهدف تسجيل الحقائق العلمية التي تصلح أن تكون إجابات لكثير من تساؤلات البحث وأهدافه .

٤- المنهج النقدي:

وذلك بالنظر في بعض الأقوال التي قيلت عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أو نسبت إليه ، من قبيل الموضوعية في البحث والأمانة العلمية حتى تكون النتائج التي ننتهي إليها في الخاتمة أقرب إلى الدقة والصواب إن شاء الله تعالى .

سابعا: هيكل البحث:

لقد قسمت البحث إلى مقدمة وستة فصول وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

الفصل الأول

لمحات من حياة الشافعي رضي الله عنه

المبحث الأول: نسبه ومولده:

أولا : نسبه : هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن[١] السائب بن عبيد بن يزيد بن المطلب بن عبد مناف، فيتصل نسبه بنسب الرسول صلى الله عليه وسلم عند عبد مناف[٢] ويلقب بالمطلب ويكنى بأبي عبد الله. فهو من أسرة كريمة المنشأ شريفة النسب، ومن طرائف هذا النسب أن السائب أسر يوم بدر وكان من المشركين فلما فدى نفسه أسلم، فقيل له: لما لم تسلم قبل إعطاء الفداء؟ فقال: ما كنت أحرم المؤمنين ما طمعوا في[٣].

ثانيا: المولد والنشأة الأولى: ولد الشافعي عام ١٥٠هـ وهو العام الذى توفى فيه الإمام أبو حنيفة، وقد يعبر المؤرخون عن العام باليوم فيقولون: ولد في اليوم الذي مات فيه أبو حنيفة[٤]، وقد روى لنا الشافعي تاريخ مولده ومكانه فقال: (ولدت بغزة سنة خمسين ومائة وحملت إلى مكة وأنا ابن سنتين)، كما روى عنه أنه ولد بعسقلان[٥]، وقد جمع ابن حجر بين هاتين الروايتين فذكر أن الشافعي كان يذكر مرة اسم المدينة التي ولد فيها وكانت عسقلان، ومرة أخرى

---

(١) وإليه ينسب وانظر في بيان نسبه: المناقب للبيهقي ص٧٦ وما بعدها، وكذا سائر المصادر.

(٢) المعروف أن النسب النبوي الشريف محفوظ ومعروف حتى عدنان، أما ما يذكره بعض المؤرخين بالنسبة إلى الشافعي ويتعدون به عدنان إلى إبراهيم عليه السلام فغير معروف.

(٣) انظر: تاريخ بغداد ٥٨/٢ ــ وفيات الأعيان ١٦٣/٤.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢/١٠ ط، مؤسسة الرسالة.

(٥) تاريخ بغدادي ٥٩/٢ ــ و جـ٧ صـ٤٢٠.

كان يحدد الموضع والقرية فيقول. غزة، وكلاهما في فلسطين[١]، كما روى أنه ولد باليمن، ويفسر المؤرخون هذا القول بقبائل اليمن القاطنة بغزة وعسقلان، فيروي عبد الله بن وهب قول الشافعي: ولدت باليمن فخافت أمي على الضيعة فقالت: الحق بأهلك فتكون مثلهم فإني أخاف أن تغلب على نسبك[٢]، فجهزتني إلى مكة فقدمتها وأنا يومئذ ابن عشر أو شبيه بذلك[٣].

وفي مكة بدأت رحلة الشافعي مع التعلم في ظروف مادية قاسية فهو يتيم الأب رقيق الحال لا يجد ما يعينه على تلقي العلم، فأجرة المعلم لا تصله إلا بجهد جهيد وأدوات الكتابة ووسائلها منعدمة لديه، فليس عنده من وسائل الطلب إلا القريحة الوقادة والذهن الألمعي، وأنعم بهما من وسيلة لمن حفته العناية الإلهية بفضلها ورعايتها، فاتجه إلى تلقي العلم مزودا بعزيمة صادقة ورغبة أكيدة تضعف أمامها متطلبات الحياة وضرورة الحاجة، وكان أول العوائق أمام رغبة التلقي هو نصيحة الأهل التي يصورها الشافعي بقوله: (فصرت إلى نسيب لي وجعلت أطلب العلم فيقول لي: لا تشتغل بهذا وأقبل على ما ينفعك، فجعلت لذتي في هذا العلم وطلبه حتى رزقني الله ما رزق)[٤].

---

(١) انظر: توالي التأسيس ص١١٥.

(٢) تغلب: أي يضع نسبك ولا تتذكره.

(٣) تاريخ بغداد ٥٩/٢، وانظر: مناقب الشافعي للبيهقي جـ٧٣.

وقد جمع الشيخ أبو زهرة بين القول أنه لحق بمكة وهو في الثانية من عمره وهذه الرواية التي تقرر أنه كان في العاشرة بأن أمه كانت تتردد به بين قومها اليمنيين المقيمين بغزة وبين قومه في مكة فتكون القدمة الأولى وهو ابن سنتين لتعرف أهله به، والأخيرة كانت للإقامة بينهم (انظر: الشافعي لأبي زهرة ص١٤).

وإن كان هناك من رجح الرواية الأولى وأن انتقاله إلى مكة كان في الثانية من عمره (انظر: موقف الشافعي من مدرسة العراق للبلتاجي ص٢٢).

(٤) انظر: تاريخ بغداد جـ٢ ص٥٨، والمناقب للبيهقي ص٧٤.

أما العائق الثاني فكان في رقة الحال، وقد تغلب عليها الشافعي بذكائه وحسن تصرفه من ناحية، وورع شيوخه من ناحية ثانية، ويروى لنا الشافعي هذه اللمحات من سيرته الذاتية فيقول: طلبت هذا الأمر عن خفة ذات يد، كنت أجالس الناس وأحفظ، ثم اشتهيت أن أدون وإن منزلنا بمكة بقرب شعب الخيف فكنت آخذ العظام والأكتاف فأكتب فيها[١]، وقد كان هذا في سن العاشرة، ثم اتجه إلى الحديث فحفظ الموطأ، وفي ذلك يقول الشافعي رضي الله عنه: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ، وأنا ابن عشر[٢]، ويفسر الرازي ما أجمله الشافعي هنا فيقول: ذكروا أن الشافعي كان في أول الأمر فقيراً وربما سلموه إلى المكتب، ما كانوا يجدون أجرة المعلم، فكان المعلم، يقصر في التعليم، إلا أن المعلم كلما علم صبيانه شيئاً كان الشافعي يتلقف ذلك الكلام، ثم إذا قام المعلم من مكانه أخذ الشافعي يعلم الصبيان تلك الأشياء، فنظر المعلم فرأى الشافعي يكفيه من أمر الصبيان أكثر من الأجرة التي كان يطمعها فترك طلب الأجرة، واستمرت هذه الأحوال حتى تعلم القرآن وكمل من العمر سبع سنين[٣]ويلاحظ هنا كيف أن ذكاء الشافعي وحبه للعلم قد ألهمه أن يقوم مقام شيخه في غيابه فيحفظ أقرانه ما سبقهم إلى حفظه، الأمر الذي أيقظ في شيخه ما كان كامناً فيه من الخير والورع وقال له: (ما يحل لي أن آخذ منك شيئاً)، كم يبدو حسن التصرف في البحث عن الأدوات الصالحة للكتابة والملقاة هنا وهناك ويأخذها ويكتب عليها، حتى إذا ما أعوزه العثور على العظام الملقاة ذهب إلى الديوان واستوهب منهم الأوراق القديمة ليكتب على ظهرها[٤].

---

(١) حلية الأولياء ٩/٧٣ ــ وانظر أيضاً: المناقب للبيهقي جـ٩٢ ــ ٩٥.

(٢) مناقب الرازي ص٣٧ وانظر: تاريخ بغداد ٢ جـ٦٣.

(٣) انظر: المصدر ذاته، وانظر: كذلك: السير صـ١١.

(٤) انظر: المقفي ص٣٢٢ وأيضاً ص٣٣٦.

المبحث الثاني: الشافعي وملازمته هذيل:

ما أن أتم الشافعي حفظ القرآن الكريم في السابعة من عمره حتى تهيأ للخروج إلى البادية وملازمة قبيلة هذيل المشهورة بنقائها اللغوي، ليحقق بذلك رغبته في النهل من منابع اللغة وليشبع نهمته في حفظ الشعر بعد أن حفظ القرآن الكريم، خاصة أن مثل هذه الملازمة لن تكلفه شيئاً ، بل ربما يسرت له تكاليف الحياة في يسر وسهولة، فضلاً عن اكتساب صفاء الطبع وقوة البنية وتعلم الرمي، وهي كلها أمور اشتهرت بها هذيل، وفي صدد هذه الرحلة يقول الشافعي : "ثم أني خرجت عن مكة فلزمت هذيلاً في البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها وكانت أفصح العرب، فبقيت فيهم سبع عشرة سنة ارتحل برحيلهم وأنزل بنزولهم"(١)، فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب وأيام العرب ، وقد ظل الشافعي يرنو إلى حياته تلك مع هذيل ويستعيد من المواقف والانطباعات ما يشعرنا أنها كانت حياة هادئة طيبة، يتجلى ذلك في قول مصعب، أحد أبناء عمومة الشافعي-: قرأ الشافعي أشعار هذيل حفظاً، ثم قال لي: لا تخبر بهذا أحداً، وكان يسمر مع أبي من أول الليل إلى الصباح يتذاكران(٢).

المبحث الثالث : مظاهر تأثر الشافعي بلهجة هذيل:

أقام الشافعي في هذيل ردحاً طويلاً من الزمن تأثر فيه بلغتهم وعلق من لهجتهم ما علق وحفظ من أشعارهم ما يصل لعشرة آلاف بيت، ومن مظاهر هذا التأثر:

---

(١) تاريخ دمشق ٥١/ ٢٨٥ وانظر أيضاً: توالي التأسيس ص١١٨، المناقب للبيهقي جـ١٠٢.

(٢) انظر المقفي ص٣٢٢ ، وأيضاً ص٣٣٦.

١- تخفيف الهمز بالإبدال[١].

٢- حذف الهمزة.

ومن ذلك القرآن فليس عنده بمهموز.

٣- التذكير والتأنيث[٢]. ومن ذلك تذكيره لفظ (السبيل).

٤- تعدية الفعل الثلاثي، ومن ذلك قول الشافعي: (جبره السلطان)[٣]على ما ذكره الأزهري[٤] ومن هنا جاءت في كتب الشافعي بعض الألفاظ اللغوية التي تخالف ما ألفه الناس في الفصحى، مع تمكن الشافعي منها وحذقه لها، وقد آتت هذه الرحلة ثمارها، فقد أصبح الشافعي المعول عليه في معرفة أشعار هذه القبيلة يلجأ إليه الأدباء واللغويون ويصححون عليه ما يحفظونه من شعر شعرائهم ومن أشهر هؤلاء اللغويين الأصمعي القائل: "صححت أشعار هذيل على فتي قرشي يقال له محمد بن إدريس الشافعي"[٥] كما استفاد كذلك من الفروسية التى ما كانت لتتأتى له لولا إقامته في البادية، وفي ذلك يقول الشافعي: وكانت همتي في شيئين الرمي والعلم، فصرت في الرمي حتى كنت أصيب عشرة من عشرة، وسكت عن العلم، فقال بعض الحاضرين: أنت والله في العلم أكثر منك في الرمي[٦].

---

(١) كانت هذيل من القبائل التي لا تهمز في كلامها إلا قليلاً، وإن الهمز كان ينقلب عندهم في الغالب إلى حرف من حروف اللين فلا يقولون: سأل، وإنما: سال.

(٢) إذا كان المؤنث مجازياً غير حقيقي كالطريق والسوق.

(٣) تاج العروس مادة جبر.

(٤) ويعلق بعض الباحثين على ذلك فيقول: ويبدو أن هذه ليست من لهجة قريش رهط الشافعي، فلعلها من آثار هزيل، (انظر: لغة هزيل د. عبد الجواد الطيب: ٦ ــ٣).

(٥) معجم الأدباء ٣٤٥/٢ ــ ٣٤٨.

(٦) انظر: تاريخ بغداد جـــ٢ ص٥٩، ٦٠، السير جـــ١٠ صـــ١١.

المبحث الرابع : النقلة الكبرى في حياة الشافعي:

وندع الشافعي رضي الله عنه يروي لنا قصة انتقاله هذه بقوله: فلما أن رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب. فمر بي رجل من بني عثمان من الزبيريين فقال: يا أبا عبد الله، عز علي أن لا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة وهذا الذكاء فقه، فتكون قد سدت أهل زمانك، قال: فقلت: ومن بقى يقصد إليه ؟ فقال لي: هذا مالك بن أنس سيد المسلمين.قال: فوقع في قلبي فعدت إلي الموطأ فاستعرته من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال ظاهراً، ثم دخلت إلي والى مكة فأخذت كتابه إلى والي المدينة إلى مالك بن أنس فقدمت المدينة وأبلغت الكتاب إلى الوالي، فلما أن قرأه قال: والله يا فتى إن مشيي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً أهون علي من المشي إلى باب مالك بن أنس؛ فإني لست أرى الذل حتى أوقف على بابه، فقلت: أصلح الله الأمير، إن رأى الأمير أن يوجه إليه ليحضر؟ فقال: هيهات ليتني إذا ركبت أنا ومن معي وأصابنا من تراب العقيق نلنا حاجتنا، فواعدته العصر وركبنا جميعاً، فوالله لقد كان كما قال، لقد أصابنا من تراب العقيق، فتقدم رجل فقرع الباب فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير: قولي لمولاك إني بالباب، فدخلت فأبطأت ثم خرجت فقالت: إن مولاي يقرئك السلام ويقول: إن كانت مسألة فارفعها في رقعة نخرج إليك الجواب، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس، فانصرف ، فقال: قولي له: معي كتاب والي مكة في حاجة مهمة ، فدخلت ثم خرجت، وفي يدها كرسي، فوضعته، ثم إذا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار، وهو شيخ طوال مسنون[١] اللحية فجلس وهو متطيلس[٢]، فدفع الوالي الكتاب فقرأه حتى إذا بلغ إلى مكان: "هذا رجل من

(١) مسنون اللحية: طويلها مصقولها.

(٢) أي يرتدي الطيلسان، وهو نوع من الثياب.

أمره وحاله فتحدثه وتفعل وتصنع" رمى الكتاب من يده وقال: يا سبحان الله، أوصار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ بالوسائل؟ فرأيت الوالي وقد تهيبه أن يكلمه ، فتقدمت إليه وقلت: أصلحك الله، إني رجل مطلبي، ومن حالي ومن قصتي..فلما أن سمع كلامي نظر إلى ساعة ــ وكان لمالك فراسة ــ فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: محمد، فقال: يا محمد، اتق الله، واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن، ثم قال: نعم، وكرامة إذا كان غدا، تجيء وتجيء بمن يقرأ لك الموطأ، فقلت: فإني أقوم بالقراءة فغدوت عليه وبدأت أقرأه ظاهراً[1]، والكتاب في يدي، فكلما تهيبت مالكاً وأريد أن أقطع القراءة أعجبه حسن قراءتي وإعرابي، فيقول لي: بالله يا فتى، زد حتى قرأته في أيام يسيرة، ثم أقمت بالمدينة إلى أن توفي مالك بن أنس[2].

* *

(١) ورد في بعض الروايات أن الشافعي كان قد حفظ الموطأ قبل أن يأتي مالك بثلاث سنوات، حيث قال: (حفظت القرآن وأنا ابن سبع، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر).

(٢) انظر هذه الرحلة في: مناقب الشافعي للبيهقي ص١٠٠ وما بعدها، وانظر كذلك: معجم الأدباء ص٢٨٥ وما بعدها.

الفصل الثاني

صفات الإمام الشافعي رضي الله عنه الشخصية

إن المتتبع لحياة الشافعي وسيرته وآثاره يلحظ بوضوح انطباع معايير الخلق القويم وصوره في شخصيته، فقد تمسك بآداب الشريعة وقيمها حتى صار نموذجاً يحتذى ينظر إليه الناس فيرونه قد جمع في ركابه مثلهم العليا التي يتطلعون إليها من علو، ويجسدها أمامهم في صورة حية تمشي على الأرض مستلهما في ذلك أريج السنة العطرة وعبق السيرة الفواح وآداب الدين الحنيف، فيقطع التعليلات ويزيح المعاذير من أمام طلاب الفضيلة وعشاقها ، ومن المصادر التي ترينا حياة الشافعي وما انطبع فيها من نبل العاطفة ورشد السلوك وحصافة الفؤاد، ما أثر عنه من عوالي الحكم وعيون الأدب، وكذا شعره الذي يعد مرآة صادقة لخلجاته فضلاً عن صفاته الأمر الذي يجعله نبعاً فياضاً تستقي منه ملامح سيرته، وهو ما يجعله نهراً تبحر فيه النفس وتنتقي من لألئه ودرره ما يفي بالغاية. ونعرض لبعض هذه الصفات فيما يلى:

المبحث الأول : العلم :

للعلم مذاق خاص عند الشافعي أدركه منذ نعومة أظفاره، فدنا إليه بصره وشغف به قلبه مع شدة الفاقة- على ما مر- حتى إذا ما تمكن منه ونبغ فيه عض عليه بالنواجذ وأرسى للناس من بعده طرائق تحصيله وآداب نشره فضلاً عن بيانه لعلو قدره وعظم مكانته ، ولعل من أبرز ما يصور لنا هيام الشافعي بالعلم وافتنانه به ما خلفه لنا من مأثور كلمه، فهو يدعو إليه ويحث على طلبه ويعلي من قيمته وأثره على ما يظهر في نتاجه العلمي (١).

والعلم عند الشافعي ليس وسيلة لعلو المكانة فقط، وإنما هو إلى جانب ذلك اللذة الكاملة والسعادة التامة التي لا انتقاص لها.

---

(١) انظر: ديوان الشافعي في مواضع متفرقة.

انظر إليه وهو يقول:

العلم مغرس لكل فخر فافتخــر واحــذر يفوتك ذاك المغــرس

فلعل يوماً إن حضرت بمجلس كنت الرئيس وفخر ذاك المجلس

وقد أثر عن الشافعي العديد من الآثار التي تفصح عن فضل العلم والدعوة إلى التحلي به ، ويخطو الشافعي خطوة أخرى فيضع الشروط الواجب توافرها في طلب العلم ناقلاً عن تجربته مخبراً عن نفسه فيقول:

١- ما أفلح في العلم إلا من طلبه في القلة، لقد كنت أطلب القرطاس فيعسر عليّ[١].

٢- لا يطلب أحد هذا بالملك وعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلة النفس وضيق العيش وخدمة العلم وتواضع النفس أفلح[٢]، ويسترسل الشافعي في تقديم نصائحه من حيث وقت الطلب ونوع العلم فيقول: تفقه قبل أن ترأس فإذا رأست فلا سبل إلى التفقه[٣]، ويستطرد ناعياً على من لا يعرفون للعلم قدراً داعياً العلماء إلى الابتعاد عن هذا الفريق قائلاً: من لا يحب العلم لا خير فيه ولا يكون بينه وبين العلم صداقة ولا معرفة[٤] ، أما عن آداب العلم فيجملها الشافعي في قوله: زينة العلم الورع والحلم[٥].

---

(١) انظر: تهذيب الأسماء واللغات جـ١ صـ٥٥، ويلاحظ أن هذا الحكم من الشافعي أغلبي، وإلا فإن هناك العديد من العلماء نشأوا في رفاهية من العيش ونعمة، وعلى رأسهم الإمام ابن حزم.

(٢) انظر: تهذيب الأسماء واللغات جـ١ صـ٥٥ .

(٣) انظر: تهذيب الأسماء واللغات جـ١ صـ٥٥ .

(٤) المقفي للمقريزي جـ٥ ٤١٨.

(٥) الأسماء واللغات.

وبالجملة فالعلم ينتج آثاراً تظهر على أصحابه يعبر عنها الشافعي بقوله: زينة العلماء التوفيق وحليتهم حسن الخلق وجمالهم ذم النفس[١]، ولا ينسى الشافعي في خضم هذه الإشادة أن يذكر طلاب العلم بأنه قد تعتري بعضهم شهوة الدنيا محذراً أياهم من جرائها وذلك في قوله: لا عيب بالعلماء أقبح من رغبتهم فيما زهدهم الله فيه وزهدهم فيما رغبهم فيه[٢].

المبحث الثاني : رجاحة العقل:

رزق الشافعي عقلاً واعياً وذهناً صافياً حتى صار مضرب المثل في رجاحة العقل وتمامه، شهد له بذلك شيوخه ومعاصروه، وثبت ذلك أيضاً من تضاعيف كلامه ومبثوث حكمه، ناهيك عن كتبه وآثاره.

ومن العلماء الذين أشاروا لكمال عقل الشافعي وصفاء ذهنه:

١- الإمام مالك في قوله: ما يأتيني قرشي أفهم من هذا الفتي[٣].

٢- القاسم بن سلام: ما رأيت قط رجلاً أعقل ولا أورع ولا أفصح من الشافعي[٤].

٣- يونس بن عبد الأعلى: ما رأيت أحداً أعقل من الشافعي، ولو جمعت الأمة فجعلت في عقل الشافعي لوسعهم عقله[٥].

٤- الربيع: لو وزن عقل الشافعي بنصف عقل أهل الأرض لرجح بهم، ولو كان في بني إسرائيل لاحتاجوا إليه[٦].

---

(١) الأسماء واللغات.

(٢) الأسماء واللغات.

(٣) المقفي ٣٢٨.

(٤) ترجمة الأئمة الأربعة ١٩٤/١.

(٥) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٣٠٣/٥١.

(٦) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٣٠٣/٥١.

٥- يحيى بن أكثم وقد سئل عن الشافعي فقال: كان عند محمد بن الحسن كبيراً في المناظرة، فكان رجلاً قرشي العقل والفهم والذهن[١].

حب الحقيقة: من الصفات التي جبل عليها الإمام الشافعي رضي الله عنه حب الحقيقة والركون إليها والتسليم لصاحبها دون لجاجة.

وقد أثر عنه في ذلك آثاراً عدة منها:

١- ما ناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويصان ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحداً إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه[٢].

٢- أعرف الحق لذى الحق إذا أحق الله الحق[٣].

وهو الأمر الذي جعله يقيس الرجال ويعرف قدرهم ومنزلتهم، وعلى حسب هذا المعيار يظهر ذلك واضحاً في مثل قوله: ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت مودته، ولا كابرني أحد على الحق ودفع الحجة الصحيحة إلا سقط من عيني ورفضته[٤].

المبحث الثالث : عبادة الشافعي وتقواه:

كان الإمام الشافعي من العلماء العاملين الذين تخلقوا بأخلاق الله واتبعوا شريعته، ويطول بنا المقام لو رمنا استقصاء مظاهر السلوك القويم في حياة الشافعي، لذا نكتفي هنا بإرشارات تغني عن عبارات ومن ذلك:

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٣٠٣/٥١.

(٢) الحلية جـ٩ ص ١١٨.

(٣) نفس المصدر ١١٩.

(٤) المصدر ذاته جـ٩ ص ١١٧.

١- أنه كان يختم القرآن في كل يوم ختمة[١] وفي رمضان ستين ختمة[٢].

٢- وكان يقسم الليل ثلاثة أجزاء؛ الأول يكتب فيه والثاني يصلي فيه، والثالث ينام[٣]، ويذكر أحد تلاميذه ليل الشافعي فيقول: نمت في منزل الشافعي ليالي فلم يكن ينام من الليل إلا يسيراً[٤]، ومن هنا وصفه أبو نعيم بأن له من العبادة الحظ الوافر[٥].

ويقول فيه الذهبي: إنه متين الديانة، وعن تقواه وورعه يقول تلميذه البويطي: هو عندي أروع وأشد تقوى من كل ما رأيت ممن نسب إلى الورع[٦].

أما عن مظاهر تقواه فنجتزئ بعض أقواله الدالة عليها وهي[٧]:

١- أنفع الذخائر التقوى.

٢- والله لو علمت أن الماء البارد يثلم من ديني شيئاً ما شربته إلا حاراً.

٣- من لم تعزه التقوى فلا عز له.

٤- ما كذبت قط ولا حلفت بالله صادقاً ولا كاذباً.

٥- لا يكمل الرجل إلا بأربع: الديانة، والأمانة، والصيانة، والرزانة.

المبحث الرابع : عزة النفس :

من صفات الشافعي التي عرف بها واشتهر علو الهمة وعزة النفس، وهي نتيجة طبيعية لما رزقه الله من علم وجبل عليه من التقوى ، وقد ورثها من

---

(١) تهذيب الأسماء ص٥٤.
(٢) الحلية جـ٩ ١٣٤ سير ٨٣.
(٣) الحلية جـ٦ ١٣٥، التهذيب ٥٤.
(٤) التهذيب ص٥٤.
(٥) الحلية جـ٩ ١٣٤.
(٦) ترتيب المدارك ١٤٠/١.
(٧) حلية الأولياء ٧٩/٩، سير أعلام النبلاء للذهبي ٩٨/١٠، طبقات الشافعية الكبرى ١٣٦/٢، تهذيب الأسماء واللغات.

شيخه الإمام مالك ولعلها أول صفة انطبعت في مخيلته في لقائه الأول مع شيخه، يظهر ذلك جلياً من تأفف والي المدينة من السير مع الشافعي لملاقاة مالك وقوله للشافعي: (والله يا فتى، إن مشيي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً أهون علي من المشي إلى باب مالك بن أنس، فإني لست أرى الذل حتى أوقف على بابه. ليتني إذا ركبت أنا ومن معي وأصابنا من تراب العقيق نلنا حاجتنا[1].

المبحث الخامس: سخاء الإمام الشافعي رضى الله عنه:

من قسمات الشافعي وملامحه، السخاء والجود الذي لازمه طيلة حياته في مكة وفي بغداد وفي مصر. وهو في ذلك متأدب بآداب الشريعة متحلياً بمكارمها؛ ذلك أن السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، بعيد عن النار.

ومن المواقف الدالة على كرم الشافعي:

١ ــ ما رواه أبو ثور قال: أراد الشافعي الخروج إلى مكة ومعه مال فقلت له (وقلما كان يمسك الشيء من سماحته) : ينبغي أن تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك من بعدك، فخرج ثم قدم فسألته عن ذلك المال ما فعل به فقال: ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني أن أشتريها لمعرفتي بأصلها، أكثرها قد وقفت، ولكن قد بنيت بمنى مضرباً ويكون لأصحابنا إذا حجوا ينزلون فيه[2].

٢ ــ ويروي الحميدي أن الشافعي قدم من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار في منديل، فضرب خباءه في موضع خارجاً من مكة فكان الناس يأتونه فم برح حتى وهبها كلها[3]، ويقول النووي: (إن سخاء الشافعي مما اشتهر) [4].

---

(١) انظر: المقفي ٢٢٣، وقد مرت القصة في حديث النشأة.
(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٣٩٥/٥١ ــ ٣٩٦.
(٣) حلية الأولياء ١٢/٩ طبقات الشافعية الكبرى ١٤١/٢، التقيد لمعرفة السنن ٤٤/١.
(٤) تهذيب الأسماء جـ١ صـ٨٢.

ومن شعر الشافعي الذي يصور تمكن هذا الخلق النبيل من نفسه:

يا لهف نفسي على مال أفرقه على المقلين من أهل المروءات

إن اعتذاري إلى من جاء يسألني ما ليس عندي لمن أحرى المصيبات

المبحث السادس : الشافعي اللغوي الأديب :

كان الإمام الشافعي رضي الله عنه حجة في اللغة والأدب والشعر، كما كان حجة في الفقه والحديث والأصول، واعترف بذلك المتقدمون من أئمة اللغة والأدب.

قال الإمام النووي في كتابه "المجموع شرح المهذب"(١): وهو ــ أي الشافعي ــ الحجة في لغة العرب ونحوهم، فقد اشتغل في العربية عشرين سنة، مع بلاغته وفصاحته، مع أنه عربي اللسان والدار والعصر، وقال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: "الشافعي فيلسوف في أربعة أشياء: في اللغة، وأيام الناس، والمعاني، والفقه"(٢)، وقال: "كان الشافعي – رحمه الله – من أفصح الناس"، وقال أحمد بن أبي سريج: "ما رأيت أحداً أفوه ولا أنطق من الشافعي"(٣).

وقال الأصمعي: "قرأت ديوان الهذليين على شاب من شباب قريش، يقال له محمد بن إدريس الشافعي". وقال: "قرأت شعر الشنفرى على محمد بن إدريس".

ولا أدل على علو كعب الشافعي في اللغة من قول الجاحظ: "نظرت في كتب هؤلاء النابغة الذين نبغوا في العلم، فلم أرى أحسن تأليفاً من الشافعي، كان لسانه ينظم الدر"(٤) وممن أثني على الشافعي ابن هشام الإمام اللغوي الكبير

---

(١) المجموع شرح المهذب جـــ١ ص١٨.

(٢) تاريخ دمشق ٣٥٠/٥١ ، سير أعلام النبلاء ٨١/١٠.

(٣) المرجع السابق ــ ص١٣٧.

(٤) المرجع السابق ــ ص٨٧، وانظر: معجم الأدباء جـــ١٧ ص٢٩٩.

حين قال: (جالست الشافعي زماناً فما سمعته تكلم بكلمة إلا اعتبرها المعتبر لا يجد كلمة في العربية أحسن منها) ثم قال: الشافعي كلامه لغة يحتج بها[١]، وهو الأمر الذي دعا الشافعي لتخصيص وقت من درسه للعلوم العربية على ما ذكره تلميذه الربيع بن سليمان: (كان الشافعي ــ رحمه الله ــ يجلس في حلقته إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قالوا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر فإذا ارتفع الضحى تفرقوا وجاء أهل العربية والنحو والشعر فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار ثم ينصرف رضي الله عنه) [٢]، وبالإضافة إلى هؤلاء الذين يأتون للدراسة والبحث كان هناك قوم آخرون يسعون لتذوق اللغة والاستمتاع بأدب الشافعي وبلاغته دون أن يكون لهم رغبة في تلقي العلم في ذاته، يوضح ذلك ما خاطبهم به الزعفراني:"إنكم لا تتعاطون العلم فلم تختلفون معناه؟ قالوا: نسمع لغة الشافعي"[٣] وقد عكف أئمة اللغة على دراسة لغة الشافعي وبينوا معانيها ومن أشهر هؤلاء العلماء الأزهري في كتابه (الزاهر) وكذلك فعل البيهقي في كتابه (الرد على من انتقد لغة الشافعي).

المبحث السابع : الشافعي المحدث :

من ميادين ثقافة الشافعي الواسعة علم الحديث الذي تشرب مروياته وحفظ نصوصه منذ نعومة أظافره، فقد حفظ الموطأ وهو في العاشرة، وما زال يتدرج في معرفة الحديث رواية ودراية حتى لقب (ناصر السنة)، فقد روى حرملة بن يحيى أنه سمع الشافعي يقول: "سميت بمكة ناصر السنة"[٤].

---

(١) معجم الأدباء ص٢٩٩ بتصرف.

(٢) معجم الأدباء جـ٢ صـ٣٤٦.

(٣) المصدر ذاته ص٢٩٩.

(٤) انظر: تاريخ بغداد ٦٨/٢، وانظر: توالي التأسيس لابن حجر ص٤٥.

ومن مظاهر علو كعبه في الإسناد كما يقول الرازي: أن أئمة الحديث اختلفوا في أصح الأسانيد في الحديث فقال إمام الصناعة ، ومتبوع الجماعة، محمد بن إسماعيل البخاري: لا إسناد أصح من مالك عن نافع عن ابن عمر، وأجمع أهل العلم على أنه ما كان في الرواة عن مالك، أجلّ من الشافعي، لأن سائر تلامذة مالك كانوا في الفقه والحذاقة دون الشافعي بكثير، فصار هذا دليلاً على أن أشرف الأسانيد في الدنيا، ما رواه الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر، وهذا يدل على أن للشافعي في علم الحديث من الدرجات العالية ما ليس لغيره[1]، وهو ما يؤكده الإمام النووي في قوله: "ومن ذلك شدة اجتهاده ــ أي الشافعي ــ في نصرة الحديث، واتباع السنة، وجمعه في مذهبه بين أطراف الأدلة مع الإتقان، والتحقيق، والغوص التام على المعاني والتدقيق حتى لقب حين قدم العراق بناصر الحديث، وغلب في عرف العلماء المتقدمين والفقهاء الخراسانيين على متبعي مذهبه لقب أصحاب الحديث في القديم والحديث، وقد روينا عن الإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة المعروف بإمام الأئمة، وكان من حفظ الحديث ومعرفة السنة بالغاية العالية أنه سئل: هل تعلم سنة صحيحة لم يودعها الشافعي كتبه؟ قال: لا[2].

ومن الآثار الدالة على الوجهة الأولى:

١ ــ ما يرويه الحميدى قال: كنت بمصر فحدث محمد بن إدريس الشافعي بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رجل: يا أبا عبد الله تأخذ بها؟ فقال: رأيتني خرجت من كنيسة أو ترى على زنارًا؟ إذا ثبت عندي عن

(١) مناقب الإمام الشافعي، للرازي ص٢١٩.

(٢) السير ٥٤/١٠، وانظر: المجموع شرح المهذب جـ١ صـ١٩، ولا شك أن هذه مبالغة من ابن خزيمة.

رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قلت به وقولته إياه ولم أزل عنه، وإن هو لم يثبت عندي لم أقوله إياه، أترى على زنارا حتى لا أقول به[١].

٢ ــ ويروي عنه الإمام أحمد بن حنبل: إذا صح عندكم الحديث عن الرسول فقولوا لي حتى أذهب به في أي بلد كان[٢].

٣ ــ ويروي الربيع بن سليمان أن رجلاً سأل الشافعي عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الرجل: فما تقول؟ فارتعد وانتفض وقال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت لغيره[٣].

٤ ــ ويقول أيضاً: إني إذا صح عندي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم آخذ به فإن عقلي قد ذهب[٤].

٥ ــ بل إن الشافعي ليضع لنا قاعدة تبرز منهجه وتبين التزامه بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: كلما قلت وكان عن رسول الله خلاف قولي مما يصح فحديث النبي أولى ولا تقلدوني[٥]، وفي رواية أخرى: إذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قولاً فأنا راجع عن قولي وقائل بذلك[٦]، ويقول أيضاً: إذا وجدتم لرسول الله صلى الله عليه وسلم سنة فاتبعوها ولا تلتفتوا إلى قول أحد[٧]، ومن هنا قال الإمام أحمد: ما رأيت أحداً أتبع للأثر من الشافعي[٨].

---

(١) الحلية ١٠٦/٩، سير أعلام النبلاء ٣٤/١٠.
(٢) المصدر نفسه، السير صـــ٣٤.
(٣) المصدر نفسه، السير صـــ٣٤.
(٤) المصدر نفسه، السير صـــ٣٤.
(٥) المصدر ذاته ١٠٧، وانظر أيضاً: السير ٣٣/١٠.
(٦) المصدر ذاته ١٠٧، وانظر أيضاً: السير ٣٣/١٠.
(٧) المصدر ذاته ١٠٧، وانظر أيضاً : السير ٣٣/١٠.
(٨) نفس المصدر ص١٠٠، وانظر: أيضاً ص١٠٢.

ومن شواهد علمه بالحديث أن شيخه سفيان بن عيينة كان يحيل إليه تفسير ما يغرب عليه من الحديث، فكان إذا جاءه شيء من التفسير والرؤيا ــ وكذا الحديث ــ التفت إلى الشافعي فيقول: سلوا هذا ، ومن الأمثلة الدالة على فقه الشافعي للحديث ودقة استنباطه: ما جاء في حديث (إنما هي صفية) وتفصيل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم مر به رجل في بعض الليل وهو مع امرأته صفية فقال: هذه امرأتي صفية، فقال: سبحان الله يا رسول الله فقال: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم فقال سفيان ابن عيينة: للشافعي. ما فقه هذا الحديث يا أبا عبد الله؟ فقال: إن كان القوم اتهموا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا بتهمتهم إياه كفاراً، لكن النبي أذن من بعده فقال إذا كنتم هذا فافعلوا هكذا حتى لا يظن بكم ظن السوء لأن النبي لا يتهم وهو أمين الله في أرضه فقال ابن عيينة جزاك الله خيراً يا أبا عبد الله[١] وفي رواية أكثر بياناً يقول فيها الشافعي: (إنما هي صفية) ما هذا من النبي صلى الله عليه وسلم للتهمة لو اتهمناه لكفرنا، هذا من النبي على الأدب، يقول: إذا مر أحدكم على رجل يكلم امرأة وهي منه بنسب فليقل إنها فلانة وهي مني بنسب[٢].

٢ ــ وفي موقف آخر يسأل ابن عيينة تلميذه الشافعي عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (أقروا الطير على وكناتها) [٣] فيجيبه أن المعنى لا تحركوها، فإن تحريكها وما تعملونه مع الطير لا يصنع شيئا وإنما يصنع فيما توجهون له قضاء الله عز وجل، ويقول الشافعي: أن علم العرب كان في زجر الطير.. كان أحدهم إذا غدا من منزله يريد أمراً نظر أول طير يراه فإن سنح عن يساره فاجتاز عن يمينه فمر عن يساره قال: هذا طير شائم فرجع وقال: حاجة شؤمة[٤].

---

(١) الحلية ٩٢/٩.
(٢) الحلية ٩٢/٩.
(٣) المصدر نفسه ص٩٤ وانظر: معجم الأدباء صـــ٣٠١.
(٤) المصدر نفسه ص٩٤ وانظر معجم الأدباء صـــ٣٠١.

ثم أخذ سفيان والأصمعي بعد ذلك يفسران الحديث على ما ذكره الشافعي، وكان لوكيع رأي آخر مؤداه أنه صيد الليل حتى إذا ما ذكر له رأي الشافعي استحسنه وقال: ما ظننته إلا على صيد الليل[١].

٣ ــ أيضاً من لمحات الشافعي في تفسير الحديث ما فسر به قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) بأنه التحزن والترنم فقال: يتحزن به ويترنم به[٢].

٤ ــ ومن لطائف الاستنباط التي هدى إليها الشافعي ما جاء في بيانه لحديث عائشة رضي الله عنها (واشترطي لهم الولاء)[٣] حيث قال: اشترطي عليهم، مستدلاً على ذلك بقوله تعالى: (أولئك لهم اللعنة)[٤] بمعنى عليهم[٥].

٥ ــ وفي قوله صلى الله عليه وسلم: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)[٦] يقول الشافعي: أي لا بأس أن تحدثوا عنهم بما سمعتم وإن استحال أن يوجد في هذه الأمة مثل ما روى أن ثيابهم تطول والنار تنزل من السماء فتأكل الغربان، ليس أن يحدث عنهم بالكذب وما لا يروي[٧]، أمَّا عن حجم معرفة الشافعي للحديث فيكفي أن نثبت هنا خبراً له دلالته في هذا الشأن، يقول الشافعي: أنفقت على كتب محمد بن الحسن ستين ديناراً ثم تدبرتها فوضعت إلى جنب كل مسألة حديثاً ــ يعني رداً عليه[٨].

* *

(١) الحلية ٩/٩٥.
(٢) الحلية ٩/١٠٤.
(٣) الحديث رواه البخاري، كتاب البيوع، باب إذا اشترط شروطاً في البيع لا تحل، ١/٣٠ ط الإيمان بالمنصورة.
(٤) الرعد ٢٥.
(٥) الحلية ٩/١٢٥.
(٦) أي لا تحرجوا.
(٧) الحلية ٩/١٢٥.
(٨) توالي التأسيس ص٧٦.

الفصل الثالث

ثناء العلماء على الشافعي

المتأمل في الجانب الاجتماعي من سيرة الشافعي في دائرة العلاقة المتبادلة بينه وبين أساتذته وتلاميذه ومعاصريه يلحظ أن الإنصاف والتقدير يمثل مطلباً بارزاً فيها.ومن ذلك نظرة شيوخه وتقديرهم إياه ومن أشهرهم:

١ ــ مسلم بن خالد الزنجي:[١] مفتي مكة وأول من اتجه إليه الشافعي لطلب العلم ومعرفة الحلال والحرام، الذي سرعان ما وجد في تلميذه من دقة الفهم وصواب الرأي وحسن النظر ما جعله يأذن له بالفتوى وقال: "قد آن لك والله أن تفتي"[٢].

٢ ــ الإمام مالك: والعلاقة بين مالك والشافعي علاقة فريدة تظهر منذ الوهلة الأولى، حيث يتفرس مالك ويرى في الشافعي مخايل الذكاء ومعالم النجابة فيشيد به ويخبره بما يتوقع له من رفعة القدر ونباهة الذكر قائلاً له: "أنه سيكون له شأن من الشأن "، ويقول عنه أيضاً:" ما أتاني قرشي أفهم من هذا الفتي"[٣]، وعندما يسترسل الشافعي في سؤال شيخه لا يعنف عليه ولا يضيق به على غير المعروف وفي هذا يقول الشافعي "ثم سألته عن مسألة فأجابني ثم عن أخرى ثم عن أخرى فقال: تحب أن تكون قاضياً"، أما ثناء الشافعي على مالك وتقديره إياه فمشهور متواتر نذكر منه على سبيل المثال قوله: "إذا جاء الأثر فمالك النجم"، "لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز"، "ما أعلم بعد كتاب الله تعالى أصح من موطأ مالك" ويقول: العلم يدور على ثلاثة: مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، والليث بن سعدً، ويقول أيضاً: "إذا جاء الحديث عن مالك

---

(١) على ما مر في لقاء الشافعي بمالك.

(٢) المقفي ص٣٣٦.

(٣) المقفي ص٣٣٦.

فشد يديك" ويسأل الشافعي:" هل رأيت أحداً ممن أدركت مثل مالك بن أنس؟ فيجيب قائلاً: سمعت من تقدمنا في العلم والسن يقولون : ما رأينا مثل مالك بن أنس فكيف نرى مثله "، ويقول: أيضاً في التدليل على مكانة مالك وعلو قدره" إن مالكاً كان مقدماً عند أهل العلم بالمدينة والحجاز والعراق معروفاً عندهم بالإتقان في الحديث ومجالسة العلماء"(١)، وهذا الثناء والتقدير من الشافعي لشيخه لا ينبع من عصبية ولا يصدر عن مجاملة، وإنما هو تعبير عن مكانة الرجل وبيان لقدره، ومع هذا التقدير والإعجاب فقد خالفه في بعض الأحكام والمسائل بل وألف كتاباً يرد فيه على شيخه ويخطئه، وهذه هي الموضوعية التي غرسها الإسلام في نفوس بنيه والتي استقاها الشافعي من شيخه في مثل قوله: "كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذه الروضة الشريفة مشيراً لقبر المصطفى صلى الله عليه وسلم"، فقال الشافعي بعد ذلك:" إن مالكاً آدمي قد يخطئ ويغلط"(٢)، والذي يعنينا هنا أن الاختلاف في الرأي لا ينبغي أن يسلب المختلفين مكانتهم وفضلهم، ناهيك عن الإسفاف والمهاترة، فمع اختلاف الشافعي مع شيخه لا نجد إلا الإعجاب والتقدير والإنصاف.

المبحث الأول : الشافعي وسائر شيوخه:

ولم تكن هذه العلاقة الطيبة القائمة على التقدير والإعجاب وقفاً على مالك والشافعي، بل كانت سمة أصيلة لسائر علاقات العلماء والفقهاء فيما بينهم، فالشيخ يشيد بتلميذه والتلميذ يقدر شيخه، ففي صدد موضوعنا هذا نجد ثناء

(١) انظر هذه الأمثلة في: مناقب الشافعي للرازي ص٥٠ ــ ٥١، والتمهيد لابن عبد البر جـ١ ص٦٢ ــ ٦٤، وانظر أيضاً: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لابن عبد البر جـ١ ص٢٢٣ ــ ٢٢٤.

(٢) المصدر نفسه ص٥١.

شيوخه الآخرين، حيث يحذون حذو مالك في الإنصاف والتقدير، ونجد الشافعي كذلك يعرف لهم فضلهم ويعظم من شأنهم.

٣ ــ سفيان بن عيينة: وهو الشيخ الذي جعله الشافعي سبباً لحفظ العلم والحديث من الضياع ويقول فيه: ما رأيت أحداً جمع الله فيه من آلة العلم والفتوى مثل ما جمع في سفيان بن عيينة، وما رأيت أحداً أحسن تفسيراً للحديث منه، وما رأيت أحداً أكف عن الفتيا منه"(١).

ولننظر في تقدير ابن عيينة لتلميذه الشافعي حيث يصفه بأنه "أفضل أهل زمانه"، بل إنه لا يكتفي بمجرد الثناء وإنما يرقى درجة أخرى في بيان سعة قدر تلميذه فيعجب بما يبديه الشافعي من شرح لحديث أو بيان لأثر، ثم يرتقي درجة ثالثة في تقدير الشافعي فيوجه أنظار السائلين إلى الشافعي ويقول لهم: سلوا هذا.

٤ ــ محمد بن الحسن: وإذا كان مالك وسفيان ومسلم يمثلون مدرسة الحجاز وما تمثله من الاهتمام بالحديث والأثر، فإن محمد بن الحسن ــ تلميذ أبي حنيفة ــ يمثل مدرسة العراق التي يغلب عليها الرأي والقياس والتفريع، الأمر الذي هيأ للشافعي مزج هاتين المدرستين في نفسه والخروج بمذهب هو نتاج هاتين المدرستين، وما يعنينا هنا هو بيان استفادة الشافعي من محمد بن الحسن وتقديره لهذا الشيخ العراقي وإعجاب محمد بفتاه الحجازي ، فمن مظاهر إعجاب الشيخ بتلميذه قوله: "إن كان أحد يخالفنا ويثبت خلافه فالشافعي. قيل له: لما؟ قال: لتأنيه وتثبته في السؤال والاستماع"(٢)، ويقول أيضاً: "إن تكلم أصحاب الحديث يوماً فبلسان الشافعي"(٣).

---

(١) مناقب الشافعي للرازي ص٥٦.

(٢) تاريخ دمشق ٣٢٨/٥١ ، تهذيب الأسماء ٧٢/١ ، حلية الأولياء ٩١/٩.

(٣) تاريخ دمشق ٣٢٨/٥١ ، تهذيب الأسماء ٧٢/١ ، حلية الأولياء ٩١/٩.

المبحث الثاني : تلاميذ الإمام الشافعي وثناؤهم عليه:

يعد الإمام أحمد بن حنبل أشهر تلاميذ الشافعي وله في الثناء على شيخه ما يخرج عن الحصر، ومن ذلك:

أ ــ ما يرويه البزار من قصة ذات شأن في تقدير الإمام أحمد لشيخه فيقول: حججت مع أحمد بن حنبل، ونزلنا في مكان واحد بمكة، فخرج أحمد باكراً، فصليت الصبح ثم خرجت أطلب أحمد بن حنبل في مجلس ابن عيينة فما وجدته، ثم طفت على المجالس فما وجدته، ثم طفت فوجدته عند شاب أعرابي فقلت له: يا أبا عبد الله تركت ابن عيينة وعنده الرواية عن الزهري وعن جمع من التابعين؟!

فقال لي: اسكت فإن فاتك حديث يعلو تجده بنزول وذلك لا يضرك، أما إن فاتك عقل هذا الفتى فإني أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة ما رأيت أحداً أفقه في كتاب الله تعالى من هذا الفتى القرشي، قلت: من هو؟ قال: محمد بن إدريس الشافعي.

ب ــ ويبلغ ثناء الإمام أحمد القمة فيقول: ما مس أحد محبرة إلا للشافعي في رقبته منة، وقال: كان الفقه قفلاً على أهله حتى فتحه الله بالشافعي ، وقال: ما تكلم في العلم رجل أقل خطأ ولا أكثر أخذاً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشافعي، وسئل أحمد عن الشافعي فقال: لقد منَّ الله علينا به لقد كنا تعلمنا علم القوم وكتبنا كتبهم، حتى قدم علينا الشافعي، فقال رجل: يا أبا عبد الله فإن يحيى بن معين وأبا عبيدة ينسبانه إلى التشيع، فقال أحمد: لا أدري ما يقولان والله ما رأينا منه إلا خيراً، ثم قال لمن حوله: "اعلموا أن الرجل من أهل العلم إذا منحه الله شيئاً وحرمه قرناء، وأشكاله حسدوه ورموه بما ليس فيه، وبئست هذه الخصلة في أهل العلم.

ج ــ وروى صالح بن أحمد قال: جاء الشافعي يوماً إلى أبي يعوده وكان عليلاً قال: فوثب إليه أبي وقبل ما بين عينيه ثم أجلسه في مكانه وجلس بين يديه ثم أخذ يسأله ساعة فلما قام الشافعي وركب أخذ أبي بركابه ومشى معه فبلغ يحيى بن معين ذلك قال يا سبحان الله فلم فعلت ذلك؟ فقال: إني رأيت يا أبا زكريا لو مشيت من الجانب الآخر لانتفعت به، من أراد الفقه فليشم ذنب هذه البغلة .

وقال أحمد: ما أعلم أحداً أعظم منة على الإسلام في زمن الشافعي منه وإني لأدعو الله لي في أدبار صلاتي فأقول:"اللهم اغفر لي ولوالدي ولمحمد بن إدريس الشافعي"، وقال الحسن بن محمد الزعفراني: ما قرأت على الشافعي من الكتب شيئاً إلا وأحمد بن حنبل شاهد. وعن صالح بن أحمد قال: سمعت أبي يذكر الشافعي فقال: لقد كان إذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة لم يلتفت إلى غيره، فكأنه والله قد جمع العلم والفقه وقراءة القرآن والخضوع ، وقال إسحاق بن راهويه: كان أحمد بن حنبل يقول أكثر من عشر مرات ونحن بمكة: تعال حتى أريك رجلاً ما رأت عينك مثله قال: فأخذ بيدي وأوقفني على الشافعي، وكان أحمد يقول: الشافعي فيلسوف في أربعة أشياء: في اللغة واختلاف الناس والفقه والمعاني.

وأما أبو ثور ــ وهو أحد تلاميذ الشافعي ــ فكان يقول: لولا أن الله تعالى منَّ عليَّ بالشافعي للقيت الله وأنا خال ولما قدم علينا دخلنا عليه فرأيته يقول: إن الله تعالى قد يذكر العام ويريد به الخاص، وقد يذكر الخاص ويريد به العام. فقال أبو ثور: وكنا لا نعرف هذه الأشياء فسألناه عنها فقال: إن الله تعالى يقول: "إن الناس قد جمعوا لكم" والمراد: أبو سفيان، وقال: "يا أيها النبي إذا طلقتم النساء" فهذا خاص والمراد به: العام ، قال أبو ثور: فعرفت أن كلامه ليس على نهج كلام غيره، ودخل رجل على أبي ثور فقال: يا أبا ثور أما ترى هذه المصيبة التي نزلت بالناس؟ فقال: وما هي؟ قال: الناس يقولون: الثوري أفقه

من الشافعي، فقال: يا سبحان الله فإنا نقول: إن الشافعي أفقه من النخعي وأشباهه وقد جئتمونا بالثوري.

وأما الحميري فكان يقول: إن سفيان بن عيينة ومسلم بن خالد (الزنجي) وسعيد بن سالم وعبد المجيد بن عبد العزيز وشيوخ أهل مكة يصفون الشافعي من أوان صغره بالذكاء والعقل والصيانة والفتوة، ويقولون: لم نعرف له صبوة، وقال: ومن المشهود: أن حلقة الفتيا في المسجد الحرام كانت لعبد الله بن عباس، ثم بعده لعطاء بن أبي رباح، ثم بعده لابن جريج، وبعده لمسلم بن خالد الزنجي وبعده لسعيد بن سالم القدّاح، وبعده لمحمد بن إدريس الشافعي – رضي الله عنهم – فأفتى في المسجد الحرام وهو ابن نيف وعشرين سنة.

وكان محمد بن عبد الله بن عبد الحكم يقول: ما رأيت مثل الشافعي، كان أصحاب الحديث يجيئون إليه ويعرضون عليه غوامض علم الحديث، فإنه يوقفهم على أسرار لم يعرفوها ولم يقفوا عليها فيقومون وهم معجبون منه، ويأتيه أصحاب الفقه، الموافقون والمخالفون، فلا يقومون إلاّ وهم مذعنون له بالحق"، ويجيئه أصحاب الأدب، ويقرأون عليه الشعر فيفسره لهم. وقد كان يحفظ عشرة آلاف بيت شعر من أشعار هذيل بإعرابها ومعانيها وكان من أعرف الناس بالتواريخ وكان ملاك أمره إخلاص العمل لله تعالى ، وكان يقول: ليس أبو عبيدة بفقيه فقيل له: لم؟ قال: لأنه يجمع أقاويل الناس ويختار منها واحداً. قيل: فمن الفقيه؟ قال: الذي يستنبط أصلاً من كتاب الله تعالى أو من سنة رسوله لم يسبق إليه ثم يشعب من ذلك الأصل مائة شعبة، قيل: فمن الذي هو كذلك؟ قال: محمد بن إدريس الشافعي.

ويطول بنا المقام لو أردنا السير في هذا الطريق، طريق ثناء العلماء على الإمام بدءاً من عصره حتى يومنا هذا، فما من كاتب أو دارس إلا وللشافعي منة عليه ، فقد استمر الإعجاب بالشافعي وتقديره عصراً بعد عصر وطبقة في

إثر طبقة يلهج العلماء بالثناء عليه، فيعظمون قدره ويرفعون من ذكره، لنقتطف هنا باقة مما يتوارثونه وننعم فيها النظر ونتنسم أريجها وننتشي بعبقها، وعندئذ نجده رجلاً يجمع الله بين يديه الخبر له حتى وكأنه طراز آخر من بني الإنسان يشيع في الناس على اختلاف المكان والزمان الأمل في استمرار هذه النماذج التي هي أشبه ما توزن بالنجوم والعيون يستضئ بها الحيارى ويرتوي بها الظمأى ، وإذا كنا قد لمحنا فيما سبق بنثر العلماء، فإن للشعراء نصيبهم في ذلك، وفي هذا يقول نفطويه وهو الأديب والشاعر[١]:

مثــل الشافعي في العلمـــــاء مثل البدر في نجوم السماء
كـــــان والله معـــــدنا لعلوم سيد الناس أفقـــــه الفقهاء
اقتدى بالنبي في حسن قــول وأقــام البوار للسفـــهاء[٢]

****

قال أبو بكر محمد بن القاسم الشهروزوي ــ ولد بأربيل، ونشأ بالموصل ٤٥٣ ت ٥٣٨هـ[٣]، من البسيط:

الشافعـــي إمام الناس كلهـــم في العلم والفضل والعياء والباس
أصحابه خير أصحب، ومذهبه خير المذاهـــب عند الله والناس
له الإمامة في الدنيا مسلمـــة كما الخلافـــة في أولاد عبـــاس

المبحث الثالث : أشهر تلاميذ الشافعي في رواية كتبه :

رزق الشافعي عدداً وافراً من التلاميذ الذين نشروا علمه وأذاعوا كتبه بين الناس وأشهرهم:

---

(١) هو محمد بن إبراهيم بن عرفة الأزدي النحوي "انظر: طبقات الشافعية للشيرازي ص١٧٧.

(٢) مناقب الشافعي للرازي ص٦٦، تاريخ بغداد ٦٩/٢، تهذيب الأسماء ٩٠/١، وفيات الأعيان ٢٣٨/٤.

(٣) ابن المستوفي، تاريخ إربل ٢٠٦/١.

١ــ البويطي: هو الإمام الجليل أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي المصري، وهو أكبر أصحاب الشافعي المصريين، كان إماماً جليلاً عابداً زاهداً فقيهاً عظيماً، قلعة العلم وقمته، تفقه على الإمام الشافعي، واختص بصحبته وحدث عنه ، وله المختصر المشهور الذي اختصره من كلام الشافعي. قال أبو عاصم: هو في غاية الحسن على نظم أبواب المبسوط ، وقال الربيع: كان الشافعي يعتمد البويطي في الفتيا ويحيل عليه إذا جاءته مسألة. قال: واستخلفه على أصحابه بعد موته، فتخرجت على يديه أئمة تفرقوا في البلاد ونشروا علم الشافعي في الآفاق. توفى سنة٢٣١هـ[١].

٢ــ المزني: هو الإمام الجليل أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل ابن عمرو بن إسحاق المزني، ناصر مذهب الشافعي، ولد سنة١٧٥هـ. وحدث عن الشافعي ونعيم بن حماد وغيرهما، وروى عنه ابن خزيمة والطحاوي وزكريا الساجي وابن حوصاء وابن أبي حاتم وغيرهم، وكان عالماً مناظراً محجاجا. قال الشافعي رضي الله عنه في وصفه: لو ناظر الشيطان لغلبه، وكان زاهداً ورعاً قانعاً مجاب الدعوة، إذا فاتته صلاة في جماعة صلاها خمساً وعشرين مرة، ويغسل الموتى تعبداً واحتساباً ويقول: أفعله ليرق قلبي ، قال أبو إسحاق الشيرازي: كان زاهداً عالماً مجتهداً مناظراً محجاجاً غواصاً على المعاني الدقيقة، وصنف كتباً كثيرة، منها: الجامع الكبير، والجامع الصغير والمختصر والمنثور والمسائل المعتبر، والترغيب في العلم، وكتاب الوثائق، وكتاب العقارب، وكتاب نهاية الاختصار.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي جـ١ ص٢٧٥، وفيات الأعيان لابن خلكان جـ٦ ص٦٠، طبقات الشافعية لابن هداية الله ص٤، طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي طبع بغداد سنة١٣٥٦هـ ص٧٩، المجموع شرح المهذب للنووي طبع العاصمة جـ١ ص١٥٦.

قال الشافعي: المزني ناصر مذهبي. قال الربيع بن سليمان: دخلنا على الشافعي رضي الله عنه عند وفاته أنا والبويطي والمزني ومحمد بن عبد الحكم. قال: فنظر إلينا الشافعي ساعة فأطال، ثم التفت إلينا فقال: أما أنت يا أبا يعقوب فستموت في حديدك، وأما أنت يا مزني فسيكون لك بمصر هيئات وهيئات، ولتدركن زماناً تكون أقيس أهل ذلك الزمان، وأما أنت يا محمد فسترجع إلى مذهب أبيك، وأما أنت يا ربيع فأنت أنفعهم في نشر الكتب. قم يا أبا يعقوب فتسلم الحلقة. قال الربيع فكان كما قال ، قال الإمام السبكي: وذكروا أن المزني كان إذا فرغ من مسألة في المختصر صلى ركعتين. وقال عمرو بن عثمان المكي: ما رأيت أحداً من المتعبدين في كثرة من لقيت منهم أشد اجتهاداً من المزني ولا أدوم على العبادة منه، وما رأيت أحداً أشد تعظيماً للعلم وأهله منه، وكان من أشد الناس تضييقاً على نفسه في الورع وأوسعه في ذلك على الناس، وكان يقول: أنا خلق من أخلاق الشافعي ، وقد أخذ عن المزني خلائق من علماء خراسان والعراق والشام، وتوفى لست بقين من شهر رمضان سنة٢٦٤هـ[1].

٣ ــ الربيع المرادي: هو الإمام الجليل أبو حامد الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن أمل المرادي المؤذن صاحب الشافعي ورواية كتبه، ولد سنة١٧٤هـ، وقام بخدمة الشافعي، وحمل عنه الكثير، وحدث عنه وعن عبد الله بن وهب وعبدالله بن يوسف التنسي، وأيوب بن سويد الرملي، ويحيى بن حسان، وأشد بن موسى، وجماعة، وروى عنه أبو داود والنسائي وابن ماجة، وأبو زرعة الرازي، وأبو حاتم وابنه عبدالرحمن بن أبي حاتم، وزكريا

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي جـ١ ص٢٣٨، ووفيات الأعيان لابن خلكان جـ١ ص١٩٦، والمجموع للنووي جـ١ ص١١٥، وطبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٥، وطبقات الفقهاء للشيرازي ص٧٩.

الساجي، وأبو جعفر الصحاوي، وأبو بكر عبدالله بن محمد بن زياد النيسابوري، والحسن بن حبيب الحصايري، وابن صاعد، وأبو العباس الأصم، وآخرون آخرهم أبو الفوارس السندي، وروى عنه الترمذي بالإجازة، وكان مؤذناً بالمسجد الجامع بفسطاط ــ أي بجامع عمرو بن العاص ــ وكان يقرأ بالألحان، وكان الشافعي يحبه، وقال له يوماً: ما أحبك إلي، وقال: لو أمكنني أن أطعمك العلم لأطعمتك ، وكان ثقة ثبتاً فيما يرويه، حتى لو تعارض هو وإبراهيم المزني في رواية، قدم الأصحاب روايته، مع علو قدر المزني علماً ودينا وجلالة وموافقة ما رواه للقواعد ، وتوفى الربيع يوم الإثنين ودفن يوم الثلاثاء ٢١ شوال ٢٧٠هـ، وصلى عليه الأمير خمارويه بن أحمد بن طولون[1].

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي جـ١ ص٢٥٩، ووفيات الأعيان لابن خلكان جـ٢ ص٥٢، طبقات الفقهاء للشيرازي ص٧٩، طبقات الشافعية لابن هداية الله ص٦، المجموع للنووي جـ١ ص١١٣.

الفصل الرابع

أهم مؤلفات الشافعي

رأينا فيما مضى تعدد ملكات الإمام الشافعي واتساع جوانبها حتى شملت علوم الدين والدنيا[١]، وقد أثمرت هذه الملكات العديد من المصنفات حتى زادت على المائة[٢]، ومن أشهر ما وصل إلينا من هذه الكتب:

١ ــ الأم[٣].

٢ ــ اختلاف الحديث[٤].

٣ ــ جماع العلم[٥].

٤ ــ إبطال الاستحسان[٦].

٥ ــ أحكام القرآن[٧].

٦ ــ السنن المأثورة[٨].

٧ ــ المسند[٩].

٨ ــ الرسالة[١٠].

---

(١) انظر في بيان مكانة الشافعي من الطب والفراسة والفلك، مناقب الشافعي للرازي ص٣٢٣ ــ ٢٣٤.

(٢) انظر: مناقب البيهقي ص٢٤٦.

(٣) وسنعرض له بشيء من البيان بعد.

(٤) وقد طبع على هامش كتاب الأم ط بولاق ١٣٢١هـ، ثم أعيد طبعة عدة مرات، وسنعرض له بالبيان والتفصيل.

(٥) وهو من الكتب الأصولية وقد حققه الشيخ أحمد شاكر.

(٦) منشور على هامش كتاب الأم.

(٧) حققه الشيخ عبد الغني عبد الخالق.

(٨) وهو الكتاب الوحيد الذي وصلنا برواية الطحاوي عن المزني عن الشافعي.

(٩) وسنتناوله بشيء من البيان.

(١٠) وهي موضوع دراستنا هذه.

المبحث الأول: التعريف بالسنن المأثورة: وصلت إلينا هذه السنن من خلال رواية تلميذه المزني، وقد نقله عنه بدوره ابن أخت المزني الإمام الطحاوي أحد المجتهدين الأحناف[١]، وتشتمل على ما يقارب السبعمائة حديث، وهو متأثر في روايته لتلك السنن بصنيع شيخه مالك الذي أخذ سماعه منه جزءًا كبيرًا وأغلبه عن مالك عن نافع عن ابن عمر، وهذا من أقوى الأسانيد، وقد جمعها بعض العلماء في جزء صغير وسماها (سلسلة الذهب فيما رواه الشافعي عن مالك)، ومن الأحاديث التي رواها عن مالك قوله (أي الطحاوي): حدثنا المزني قال حدثنا الشافعي (رحمه الله) عن مالك بن أنس عن نافع، عن عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقاً في حجن ثمنه ثلاثة دراهم[٢]، وأغلب مرويات هذه السنن تدور على مسائل الفقه، كالتبكير إلى الجمعة، حضور النساء مساجد الجماعة، الاعتكاف، تعجيل الفطر، الزكاة.

المبحث الثاني: التعريف بمسند الشافعي[٣]:

وهو من جمع واختيار عباس الأصم الذي سمع كتب الشافعي من تلميذه وناشر علمه الربيع بن سليمان ، وقد اهتم العلماء بهذا المسند شرحاً وترتيباً وتبويباً، ومن أشهر هؤلاء الشراح أبو السعادات ابن الأثير، حيث شرحه في خمسة مجلدات.

كما انتخبه الشيخ زين الدين عمر الشماع وسماه (المنتخب المرضي من مسند الشافعي)، كما شرحه كذلك كل من الرافعي والسيوطي[٤]، أما الذين

---

(١) طبعت هذه السنن دار المعرفة بيروت بتحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، وتقع في ٤٤٥ صفحة.

(٢) انظر: ص٣٩٦ من الكتاب.

(٣) وقد طبع عدة مرات.

(٤) انظر في ذلك: مقدمة تحفة الأحوذي للمباركفوري ص١٧٩، وانظر أيضاً: كشف الظنون.

عكفوا على ترتيبه وتبويبه فمن أشهرهم في القديم الأمير سنجر بن عبدالله الجاولي كما يعد الشيخ عبدالرحمن البنا آخر الذين اعتنوا بشرح وتبويب هذا المسند الذي يذكر أن هذا المسند لا يشتمل على كل الأحاديث التي رواها الشافعي أو استدل بها، بل هي قليل من كثير اختارها الأصم، وهو ما أشار إليه الكتاني في (الرسالة المستطرفة)[١] وهذا الكتاب يختلف عن السنن المأثورة.

المبحث الثالث :التعريف بمختلف الحديث [٢]:

من أهم مصنفات الإمام الشافعي التي تجمع بين الأصول والحديث كتاب "مختلف الحديث" الذي يدور على التوفيق بين الأحاديث التي ظاهرها التناقض، والشافعي في عمله هذا يبطل ما يزعمه المستشرقون من أن اهتمام المسلمين بصحة الحديث كان قاصراً على السند فقط دون أن يولوا المتن اهتمامهم، ولم يكن الشافعي وحده صاحب هذا الاهتمام، وإنما سبقته عائشة "رضي الله عنها"، يظهر ذلك جليا فيما جمعه الزركشي لها من آراء في كتابه (الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة) ، ثم تتابع العلماء بعد ذلك، فرأينا جهوداً لابن قتيبة في "مختلف الحديث"، ثم جاء ابن فورك فصنع "تأويل مشكل الحديث"، وكذلك فعل ابن الجوزي في "مشكل الصحيحين" وغيرهم كثير.

والذي يعنينا هنا كتاب الشافعي الذي يقوم على المزج بين أصول الفقه وقواعد المصطلح، مع الأخذ في الاعتبار علوم اللغة ، فيلاحظ أن الإمام الشافعي اعتمد على علم أصول الفقه في بيان الناسخ والمنسوخ من الحديث، وكذلك اعتمد عليه في بيان عموم السنة وخصوصها، وفي بيان كون الأمر

---

(١) انظر الرسالة المستطرفة ص١٤ ط الكليات الأزهرية.

(٢) وقد طبع أولاً على هامش كتاب الأم، ثم نشر منفصلاً بعد ذلك عدة مرات.

ويلاحظ في هذه العجالة أننا قد أطلنا النفس وذلك للعلاقة الوثيقة بين كتاب الرسالة وكتاب مختلف الحديث، فالتفصيل هنا ضروري لإيضاح بعض جوانب الرسالة، وقد اعتمدنا كثيراً في هذه النبذة على كتاب (مختلف الحديث عند الإمام الشافعي).

للندب أو الإباحة، وفي بيان اختلاف الأحاديث، وفي بيان اختلاف الحديث مع قول الصحابي، ويتبع قول الصحابي في ذلك عمل أهل المدينة؛ لأنه قائم على أقوال الصحابة وهذه كلها موضوعات أصولية.

وقد اعتمد الإمام الشافعي على علوم الحديث أيضاً في بيان اختلاف الحديث الصحيح مع الضعيف، وفي بيان الترجيح بين الحديثين الصحيحين المختلفين، أما عن بيان الشافعي لاختلاف الأحاديث باختلاف المقام، فإن هذا الموضع وإن كان مبحثاً من مباحث علم اللغة وعلم البلاغة، فإننا يمكن أن ندرجه في مباحث علوم الحديث بناءً على ما وجدناه قريباً منه من مباحث بعض علماء الحديث، مثل أسباب ورود الحديث وغيره ، كما تبين من منهج الإمام الشافعي أن هذا الاختلاف بين الأحاديث هو اختلاف في أنظار المكلفين فقط، يزول بمجرد إمعان النظر فيتم التوفيق بين الحديثين ويتم العمل بالنصين معاً؛ لأن أغلبه اختلاف تباين، مثل الاختلاف بين العموم والخصوص، واختلاف حديث الأمر للندب مع حديث الإباحة، واختلاف الحديثين من جهة المباح، واختلاف الحديثين باختلاف المقام، أما اختلاف الحديث مع قول الصحابي أو مع عمل أهل المدينة فقد رأينا اتجاه الشافعي ومعه الجمهور إلى ترك قول الصحابي أو عمل أهل المدينة إذا عارضهما الحديث الصحيح، وكذلك وجدنا اتجاه الشافعي وجمهور العلماء إلى ترك الحديث الضعيف وبخاصة إذا عارضه حديث صحيح.

وقد تبين لنا من منهج الإمام الشافعي أن الاختلاف الحقيقي في الأحاديث لا يوجد إلا بين الناسخ والمنسوخ وبين بعض الأحاديث الصحيحة الإسناد المختلفة بسبب وهم الراوي الثقة، ففي الناسخ والمنسوخ نعمل بالحديث الناسخ ونترك المنسوخ، أما الأحاديث الصحيحة الإسناد المختلفة بسبب وهم الراوي الثقة فقد بين لنا الشافعي كيفية الترجيح بينهما ثم نعمل بالراجح ونترك المرجوح ، وقد

تبين في اختلاف الأحاديث باختلاف المقام أن الإمام الشافعي كان أول من أبرز أهمية المقام في دلالته على المعنى، وبخاصة إذا ورد الحديثان مختلفين ومقام كل منهما يختلف عن الآخر، ففي هذه الحالة ينتفي الاختلاف بين الحديثين ويتم إعمالهما معاً، كل حديث في مقامه.

وقد وضح الشافعي في مقالته الدراسية عن المقام أن عدم معرفة اختلاف مقامي الحديثين المختلفين أو عدم فهم اختلاف المقامين قد يؤدي إلى الاعتقاد بوجود اختلاف بين الحديثين، وكلها تتعلق بفهم ومعرفة مقام كل حديث على حدة، وكلما كان مقام الحديث أكثر تفصيلاً كان معناه الدلالي أكثر وضوحاً، ثم بين الشافعي أن بعض الأحاديث التي بدت متعارضة أمامنا ولم نستطع أن نوفق بينها كانت بسبب ورود الحديثين ناقصين في العلم بمقاميهما أو بسبب وهم المحدث ، وقد تبين كذلك عند اختلاف الحديث مع قول الصحابي، أو مع عمل أهل المدينة أن كثيراً من العلماء قد جعلوا قول الصحابي حديثاً موقوفاً أو مرفوعاً، مما دعاهم إلى الأخذ به وإن كان معارضاً لحديث صحيح، وأن الإمام الشافعي كان يعد قول الصحابي حجة تلزم الأخذ به، وأنه في رسالته الجديدة لم يجعله حجة تلزم الأخذ به، فلم يأت بهذا قرآن ولا سنة، ولكنه كان يأخذ بقول الصحابي دون أن يجعله حجة لازمة، فإن جاء قول الصحابي مخالفاً للحديث تركه وأخذ بالحديث.

ثم تبين لنا أن عمل أهل المدينة أو إجماع أهل المدينة أصله من قول صحابي أو من بعض أقوال الصحابة، وأن هذا الإجماع ادعاء لا دليل عليه؛ لأن من علماء المدينة من يخالف هذا الإجماع، ولذلك رد الإمام الشافعي إجماع أهل المدينة المزعوم إذا جاء مخالفاً للحديث ، وفي اختلاف الحديث الصحيح مع الضعيف يترك الإمام الشافعي ــ ومعه جمهور العلماء المحققين ــ الحديث الضعيف، سواء في أحكام الاعتقاد أو في أحكام الفقه أو في فضائل الأعمال، وبخاصة إذا جاء هذا الحديث الضعيف مخالفاً لحديث صحيح غيره، وفي

اختلاف الأحاديث في عموم السنة وخصوصها بين الشافعي عدم تعارض العام مع الخاص، فإن الحديث الخاص يخصص الحديث العام ويعمل بهما معاً بلا اختلاف؛ لأن ذلك من اختلاف التباين، وأن صيغ العموم حقيقة في العموم مجاز فيما سواه، وأنها تستغرق كل ما يصلح أن يندرج تحتها، وأن الشافعي قد قسم العموم إلى ثلاثة أقسام: الأول هو العام الباقي على عمومه، والثاني هو العام الذي يراد به العام ويدخله الخصوص، والثالث: هو العام الذي يراد به الخاص. ثم بين أن صيغ العموم ظنية الدلالة، بمعنى قبولها للتخصيص، والتخصيص لا يكون إلا بدليل، وأدلة التخصيص قد تكون لفظية متصلة أو منفصلة، أو غير لفظية، كالعقل والحس والعرف والإجماع، وأن أغلب مسائل العموم والتخصيص عند الشافعي كانت بدليل لفظي منفصل: أي تخصيص حديث بحديث آخر.

وتبين لنا عند الشافعي توظيفه للسياق اللفظي والحالي في تخصيص ما قد يرد عاماً عن النبي صلى الله عليه وسلم، كما في مسألة رضاعة الكبير، كما ظهر أن الشافعي لم يخصص السنة بالقياس، وإنما السنة تخصص بعض عموم آيات القرآن ، ويتبين في اختلاف الأحاديث في الأوامر والنواهي أن الإمام الشافعي قد عد الأمر أو الطلب حقيقة في الوجوب، فإذا جاء الأمر عارياً عن القرائن التي تخرجه من الوجوب إلى الندب أو الإباحة فإن الطلب يفيد الوجوب في هذه الحالة بأصل وضعه في اللغة، وأن الشافعي قد اعتمد على القرائن من السياق اللغوي والحالي في إخراج دلالة الطلب من الوجوب إلى الندب أو الإباحة، وقد كان أهم دليل اعتمد عليه الشافعي لإخراج دلالة الحديث الذي يفيد الوجوب إلى الندب هو أن يأتي حديث آخر لا يفعل فيه رسول الله ما أمر به في الحديث الأول، وبذلك ينتفى الائتلاف بين الحديثين.

أما نواهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جعلها الشافعي جميعاً محرمة، وإن كان قد فرق بينها بأن بعض الذنوب فيها أكبر من بعض، ولم يأت

بأدلة تخرج النهي من التحريم إلى الكراهة أو التنزيه إلا بأن يكون هذا الدليل حديثاً آخر لرسول الله صلى الله عليه وسلم يبين فيه جواز الفعل، وبذلك يعمل بالحديثين معاً بلا اختلاف؛ لأن فاعل المكروه لا يأثم إن فعله، ويؤجر إن تركه، وفي مسألة اختلاف الأحاديث من جهة المباح نجد الإمام الشافعي قد اعتبر الأحاديث المتغايرة التي ترد في المسألة الواحدة ويخير فيها المكلف بفعل أي عمل لا تعد مختلفة، بل إن ذلك يعد رحمة من الشارع الحكيم في تخييره المكلف بالقيام بأحدها، وأن أي اختيار له يجزئه.

ويعد الإمام الشافعي هو أول من كتب في النسخ في القرآن والسنة، وبين حكمة النسخ وبين حده على نحو ما اصطلح عليه الأصوليون،وحرر النسخ فأخرج منه العموم والخصوص، وبين شروط النسخ، ولكنه لم يخض في الشروط العامة للنسخ، تلك الشروط التي يتفق عليها العلماء، ولكنه أفاض في الشروط التي كانت موضع خلاف بين العلماء في زمانه ومن بعده، وهي: التعارض بين الحديثين بما لا يمكن الجمع بينهما، والبدل للمنسوخ، ونسخ القرآن بالقرآن، ونسخ السنة بالسنة، وإذا نسخ القرآن السنة فلابد من سنة أخرى تبين هذا النسخ، وقد تبين لنا ضرورة توافر هذه الشروط في أية مسألة من مسائل النسخ.

ثم تبين لنا أن الشافعي هو أول من حدد طرائق معرفة النسخ في السنة بأربع طرائق وهي: ما عرف بتصريح الرسول على النسخ، وما عرف بتصريح الصحابي، وما عرف بتاريخ الناسخ وتاريخ المنسوخ، وأخيراً ما عرف بدلالة الإجماع على النسخ، ثم تبين لنا بعد ذلك توظيف الشافعي للسنة في الدلالة على أغلب مسائل النسخ في القرآن، وأن السنة قد جاءت متوافقة مع القرآن في الدلالة على كثير من مسائل النسخ، ولو لم تكن متوافقة لوجدنا اختلافاً بين القرآن والسنة في بعض مسائل النسخ، ولذلك كانت السنة هي المنبع الأصلي للدلالة على النسخ في الشريعة، سواء في القرآن أو السنة.

الفصل الخامس

جهود الإمام الشافعي في بيان العقيدة الصحيحة

المبحث الأول: أصول الشافعي في إثبات العقيدة :

وإذا أردنا أن نبين كيف كان الشافعي يأخذ عقيدته لا بد أن ننظر إلى قولَ الشَّافِعِي ﷺ: "آمَنْت بِاَللَّهِ وَبِمَا جَاءَ عَنْ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ اللَّه، وَآمَنْت بِرَسُولِ اللَّهِ وَمَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"[1] وهذا يبين أن الشافعي كانت أصوله هي الكتاب والسنة الصحيحة، سواءً كانت هذه السنة آحاد أو متواتر وإجماع الصحابة ﷺ، ورد أقوال أهل البدع وزجرهم وطردهم من مجالسته، والمتتبع لمنهج السلف يجد أن الإمام الشافعي رحمه الله لم يخالف هذا المنهج، بل سار عليه وحارب كل من خالف هذا المنهج ورماه بالبدعة؛ لأنه اتبع غير المنهج القويم الذي رسمه الله ﷻ لهذه الأمة كي تسير عليه ويستقيم حالها، والنبي ﷺ بين أن من اتبع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ لم يضل أبدا فقال ﷺ: "وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسألون عني."[2]

المبحث الثاني: منهج الشافعي في حقيقة الإيمان ودخول الأعمال في مسماه:

الناظر في عقيدة الإمام الشافعي رحمه الله في حقيقة الإيمان يجده يقول أن الإيمان ليس قولاً فقط ،ولا قولاً وعملاً فقط، ولا يقول بأن الإيمان فقط نية، لكن الشافعي رحمه الله بين لنا أن الإيمان يجمع هؤلاء الثلاثة وبين لنا أن الإيمان قول وعمل ونية، ويؤكد ذلك ما رواه الربيع عن الشافعي، يقول الربيع:

---

(١) مجموع الفتاوى ٦/ ٣٥٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، حديث رقم١٢١٨ ج٢/ ٨٨٦.

سمعت الشافعي يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص."[١]، وقال الشافعي رحمه الله في كتاب (الأم) في باب النية في الصلاة : نحتج بأن لا تجزئ صلاة إلا بنية؛ لحديث عمر بن الخطابﷺ عن النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنية[٢]»، ثم قال: وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية ، لا يجزئ واحد من الثلاثة بالآخر"[٣].

وهذا يتضح لنا أن الإمام الشافعي رحمه الله كان على نهج السلف الصالح؛ لأن الإيمان عند السلف هو اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان؛[٤] لأنه إذا نقص واحد من هذه الأركان يجعل الإنسان مخالفاً لمنهج السلف، ولم يشذ الشافعى عن هذا المنهج؛ لأنه كان يعلم أن أي عمل يقوم به الإنسان لا بد أن تتوفر النية، وإذا حضرت النية، لا بد من العمل لهذه النية، ولا يقبل العمل إلا إذا كان صاحبه ممن تلفظ بالشهادتين، فالإمام الشافعي يعتقد بهذا المنهج ويسير عليه ويدعو إليه ويناقش من يخالف هذا المنهج من أجل أن يوصله إلى المنهج القويم.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات، تأليف: محيي الدين بن شرف النووي، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، ص:٦٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، بَاب النِّيَّةِ فِي الْأَيْمَانِ، ح٦٦٨٩ ، ج ٨/ص ١٤٠.

(٣) نقلاً عن: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٤/ ١٤٩، ولم أجد النص في كتاب الأم للشافعي، وانظر: جامع العلوم والحكم، ط٢ ١٤٢٠ دار ابن الجوزي السعودية ص: ٥٩].

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني الطبعة الثامنة، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤ م ط المكتب الإسلامي بيروت (ص٣٣١)، والشريعة، تأليف الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق فريد الجندي، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م الناشر دار الحديث القاهرة (ص٩٦).

المبحث الثالث: الإيمان يزيد وينقص:

فالله ﷻ بين لنا أن الإيمان ليس مرتبة واحدة ولكنه يزيد وينقص، فهو يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان، والذي يؤيد زيادة الإيمان ونقصانه قولهﷻ: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]، والنبي ﷺ بين أن الإيمان عبارة عن درجات يزيد بالأعمال الصالحة وينقص بالمعاصي فيه يتفاوت الناس، والدليل قول النبي ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"[١] (أما الدليل على نقصان الإيمان فهو قول النبيﷺ : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان[٢]، والإمام الشافعي لم يخالف من سبقه من العلماء في هذا الأمر؛ لأنه متبع؛ فحين أراد أن يتكلم عن الإيمان قال فيما رواه الربيع بن سليمان[٣]: سمعت الشافعي يقول: الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان حديث رقم٣٥ ج١/ ٦٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، حديث رقم٤٩ج ١/ ٦٩.

(٣) الربيع بن سليمان بن داود الأزدى مولاهم المصرى الجيزى الشافعى. روى عن الشافعى، وابن وهب، وآخرين. روى عنه أبو داود السجستانى، وغيره. قال الخطيب البغدادى: كان ثقة. توفى فى ذى الحجة سنة ست وخمسين ومائتين. انظر: تهذيب الأسماء ص: ٢٦٢.

بالمعصية، ثم تلا هذه الآية ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾[المدثر: ٣١][(١)]، وهذا يبين لنا أن الإمام الشافعي متبع لمنهج السلف ولم يشذ عن شيء منه عليه دليل.

المبحث الرابع: حكم الكبيرة وأثرها على الإيمان:

الناظر في حكم مرتكب الكبائر يرى أن أهل السنة يقولون أنه إيمانه ناقص؛ لأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، والمعتزلة نظروا إلى مرتكب الكبيرة على أنه في منزلة بين المنزلتين، لكن الخوارج نظروا إلى مرتكب الكبيرة على أنه كافر، ولكن اختلفوا في هذا النوع من الكفر ، والإمام الشافعي رحمه الله يرى أن مرتكب الكبيرة في غير الشرك أن الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، قال الشافعي رحمه الله :"إذا وَلَّى الْمُسْلِمُونَ غير مُتَحَرِّفِينَ لِقِتَالٍ أو مُتَحَيِّزِينَ إلَى فِئَةٍ رَجَوْت أَنْ لَا يَأْثَمُوا، ولَا يَخْرُجُونَ وَاَللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ من الْمَأْثَمِ إلَّا بِأَنْ لَا يُوَلُّوا الْعَدُوَّ دُبُرًا إلَّا وَهُمْ يَنْوُونَ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ من التَّحَرُّفِ إلَى الْقِتَالِ أو التَّحَيُّزِ إلَى فِئَةٍ، فَإِنْ وَلَّوْا على غَيْرِ نِيَّةِ وَاحِدٍ من الْأَمْرَيْنِ خَشِيت أَنْ يَأْثَمُوا وَأَنْ يُحْدِثُوا بَعْدُ نِيَّةَ خَيْرٍ لهم، وَمَنْ فَعَلَ هذا منهم تَقَرَّبَ إلَى اللَّهِ عز وجل بِمَا اسْتَطَاعَ من خَيْرٍ بِلَا كَفَّارَةٍ مَعْلُومَةٍ فيه قال، ولَوْ وَلَّوْا يُرِيدُونَ التَّحَرُّفَ لِلْقِتَالِ أو التَّحَيُّزَ إلَى الْفِئَةِ ثُمَّ أَحْدَثُوا بَعْدُ نِيَّةً في الْمُقَامِ على الْفِرَارِ بِلَا وَاحِدَةٍ من النِّيَّتَيْنِ كَانُوا غير آثِمِينَ بِالتَّوْلِيَةِ مع النِّيَّةِ لِأَحَدِ الْأَمْرَيْنِ، وَخِفْت أَنْ يَأْثَمُوا بِالنِّيَّةِ الْحَادِثَةِ أَنْ يَثْبُتُوا على الْفِرَارِ لَا لِوَاحِدٍ من الْمَعْنَيَيْنِ وَإِنْ بَعْضُ أَهْلِ الْفَيْءِ نَوَى أَنْ يُجَاهِدَ عَدُوًّا أبدا بِلَا عُذْرٍ خِفْت عليه الْمَأْثَمَ"[(٢)].

وبين أيضاً ذلك من خلال قوله عن الآخرة التي هي إما دار السعادة أو الشقاء وفيها رحمة الله وعفوه ومغفرته للمذنبين، فقال:" وَجَعَلَ الْآخِرَةَ دَارَ قَرَارٍ

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،تأليف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت٩ج/ص١١٥.

(٢) الأم ٤/ ١٦٩ ، ١٧٠ .

وَجَزَاءٍ فيها بِمَا عَمِلَ في الدُّنْيَا من خَيْرٍ أو شَرٍّ إنْ لم يَعْفُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ"[1] وهذا يبن لنا أن الإمام الشافعي رحمه الله لم يخالف منهج السلف ولكن سار عليه وحارب كل من خالفه ، وقد بين الشافعي رحمه الله أيضاً موقفه من الزاني وغيره فهو لم يحل دمه؛ لأنه ثبت له حرمة الإسلام، واستدل على ذلك بحديث حاطب ﷺ[2]. وهذا يجلي لنا موقف الشافعي جلياً من مرتكب الكبيرة بأنه مؤمن عاصي .

المبحث الخامس :عقيدة الشافعي في توحيد الإلوهية :

توحيد الإلوهية هو أهم أنواع التوحيد ، وقد فرق اللهﷻ به بين المؤمنين والكافرين، فكثير من الناس يقع في الشرك ويقول: أنا أؤمن أن الله ﷻ هو الرازق والمحيي والمميت ولا يعلم أن توحيد الإلوهية هو الذي يفرق بين الناس في عبادتهم وهو الذي أرسل الله الرسل من أجل أن يعلمه الناس، ولو أردنا أن نعرفه لقلنا: هو إفراد اللهﷻ بالعبادة دون غيره ونأخذ هذا من حديث معاذ ﷺ حين بَعَثَه النبى إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّه، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ[3].

وهذا يدلنا على أن النبيﷺ علم أمته التوحيد، ولذلك حين سئل المزني عن علم الكلام والتوحيد " فقال: "إني أكره هذا، بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعي، لقد سمعت الشافعي يقول: سئل مالك عن الكلام والتوحيد فقال: محال أن نظن بالنبيﷺ أنه علم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد، والتوحيد ما قاله

(١) الأم ٤/ ١٢٢.

(٢) الأم ٤/ ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة(٢/ ١٠٤)، ح رقم ١٣٩٥.

النبيﷺ:" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله " ، فما عصم به الدم والمال حقيقة التوحيد."(١) ومعلوم أن الذي يعصم الدم والمال هو توحيد الإلوهية وليس توحيد الربوبية؛ لأن المشركين في عهد الرسولﷺ كانوا يقرون بتوحيد الربوبية وينكرون توحيد الإلوهية، ولذلك قال اللهﷻ عنهم﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:٦١]، وهذا الذي كان يقره الإمام الشافعي رحمه الله ويعتقد به ويدافع عنه.

المبحث السادس: عقيدة الشافعي في توحيد الربوبية:

يؤمن بتوحيد الربوبية جميع الناس إلا الملاحدة والشيوعيون فهم لا يقرون بالرب ﷻ، ويستدلون على ربوبيته من خلقه؛ لأنه ﷻ قال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ* وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[الذاريات: ٢٠، ٢١] ولو أردنا أن نعرف توحيد الربوبية لقلنا: هو إفراد اللهﷻ بالخلق والأمر. وكل ما في هذا الكون يدل على وجوده ﷻ، والإمام الشافعي رحمه الله كان يستدل حين يجادل خصمه على وجود الله ﷻ من آياته ومخلوقاته، ومنها مناظرته لبشر المعتزلي عند هارون الرشيد "قال بشر: يا أمير المؤمنين دعني وإياه، فقال له هارون: شأنك وإياه، فقال له بشر: أخبرني ما الدليل على أن الله تعالى واحد، فقال الشافعي: يا بشر ما تدرك من لسان الخواص فأكلمك على لسانهم، إلا أنه لا بد لي أن أجيبك على مقدارك من حيث أنت، الدليل عليه به ومنه وإليه، واختلاف الأصوات في المصوت إذا كان المحرك واحدا دليل على أنه واحد، وعدم الضد في الكمال على الدوام دليل على أنه واحد، وأربع نيرات مختلفات في جسد واحد متفقات على ترتيبه في استفاضة الهيكل دليل على أن الله تعالى واحد، وأربع طبائع مختلفات في الخافقين أضداد غير أشكال مؤلفات على أصلاح

(١) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٦.

الأحوال دليل على أن الله تعالى واحد، وفي خلق السموات والأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون كل ذلك دليل على أن الله تعالى واحد لا شريك له".[١] وهذه المناظرة توضح لنا كيف كان الشافعي رحمه الله يستدل على توحيد الربوبية من خلال خلق الله ﷻ كما كان السلف رحمهم الله يستدلون على وجوده.

المبحث السابع: عقيدة الشافعي في توحيد الأسماء والصفات :

السلف رحمهم الله كانوا يثبتون لله ﷻ ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله من غير تكيف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل ، والإمام الشافعي رحمه الله حين سأل عن الأسماء والمسميات بين أن الأسماء تختلف عن المسميات، يقول الشافعي: "إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى، والشيء غير المشييء، فاشهد عليه بالزندقة"[٢]، وهذا يوضح أن الشافعي كان يثبت لله الأسماء التي سمى بها نفسه، ولذلك كان يحكم على من حلف باسم من أسماء الله في اليمين ثم يحنث بأن عليه كفارة، قال الشافعي : من حَلَفَ بِاَللَّهِ أو بِاسْمٍ من أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فَعَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ إذَا حَنِثَ ، وَمَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ غير اللَّهِ فَلَيْسَ بِحَالِفٍ وَلَا كَفَّارَةَ عليه إذَا حَنِثَ، وَالْمُولِي من حَلَفَ بِالَّذِي يَلْزَمُهُ بِهِ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَوْجَبَ على نَفْسِهِ شيئا يَجِبُ عليه إذَا أَوْجَبَهُ[٣].

أما في صفات الله ﷻ فهو أيضاً على منهج السلف، وصدر كتابه (الرسالة) في عقيدته فقال: "لا يبلغ الواصفون كنه عظمته، الذي هو كما وصف نفسه وفوق ما يصفه به خلقه، أحمده حمدا كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله".[٤]

---

(١) حلية الأولياء ٩/ ٨٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٠.

(٣) الأم ٥/ ٢٩٩ .

(٤) الرسالة ص: ٨ .

وَثَبَتَ عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ سُلَيْمَانَ أَنَّهُ قَالَ : سَأَلْت الشَّافِعِيَّ – رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى –عَنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ؟ فَقَالَ : " حَرَامٌ عَلَى الْعُقُولِ أَنْ تُمَثِّلَ اللَّهَ تَعَالَى، وَعَلَى الْأَوْهَامِ أَنْ تَحُدَّهُ، وَعَلَى الظُّنُونِ أَنْ تَقْطَعَ، وَعَلَى النُّفُوسِ أَنْ تُفَكِّرَ ؛ وَعَلَى الضَّمَائِرِ أَنْ تُعَمِّقَ، وَعَلَى الْخَوَاطِرِ أَنْ تُحِيطَ وَعَلَى الْعُقُولِ أَنْ تَعْقِلَ إلَّا مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَوْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ " عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ(١).

وهذا يبين أن الشافعي رحمه الله يحرم تأويل صفات الله ﷻ ، بل كان رحمه الله يثبت الصفة كما جاءت ومن أمثلة الصفات أكتفي بذكر مسألة الكلام لله ﷻ؛ لأنها هي التي وقع فيها الخلاف كثيراً بين الفرق وامتحن بها العلماء وعذب من أجلها الناس وقد حصلت مناظرة بين حفص الفرد والشافعي ونقلها الآجري بسنده قال: حدثنا الربيع بن سليمان قال : سمعت الشافعي يقول وذكر القرآن وما يقول حفص الفرد ، وكان الشافعي يقول : حفص المنفرد ، وناظره بحضرة والٍ كان بمصر فقال له الشافعي رضي الله عنه في المناظرة : كفرت والله الذي لا إله إلا هو ، ثم قاموا ، فانصرفوا ، فسمعت حفصاً يقول : أشاط والله الذي لا إله إلا هو الشافعي بدمي، قال الربيع : وسمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال : مخلوق فهو كافر(٢).

* *

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٦ .

(٢) الشريعة ،تأليف الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ،تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ط١ ط١٤٢٥هـ، الناشر دار الحديث القاهرة ص٦٨.

الفصل السادس

بعض جهود الإمام الشافعي الفقهية والأصولية

ولعل من المناسب أن نعرج على بيان أثر الشافعي في هذا الأمر، حيث تهيأ للإمام الشافعي رضي الله عنه الوقوف والاطلاع على المنهج الاجتهادي الذي يسلكه أصحاب مدرسة الحديث بالحجاز، والآخر الذي يسلكه أصحاب مدرسة أهل الرأي ببغداد وعرفهما عن كثب، فقد تتلمذ على أعلامهما، وتلقى عنهما علوم الحديث والفقه، وهو ما يشير إليه موسى بن أبي الجارود في صدد التنويه بالمكانة العلمية التي احتلها الشافعي، ومصادر علومه ومعارفه: "كما نتحدث وأصحابنا من أهل مكة أن الشافعي أخذ كتب ابن جريج عن أربعة أنفس: عن مسلم بن خالد، وسعيد بن سالم، وهذين فقيهين، وعن عبدالمجيد بن عبد العزى بن أبي رداد وكان أعلمهم بابن جريج، وعن عبدالله بن الحارث المخزومي، وكان من الأثبات، وانتهت الرياسة للفقه بالمدينة إلى مالك.

ويعرض الشيخ ولي الله الدهلوي لذكر عدد من الأسباب بقوله: "ونشأ الشافعي في أوائل ظهور المذهبين (مذهب أهل الحديث والرأي) وترتيب أصولهما وفروعهما، فنظر في صنيع الأوائل فوجد فيه أموراً كبحت عنانه عن الجريان في طريقهم، وقد ذكرها في أوائل كتاب (الأم) ، منها: أنه وجدهم يأخذون بالمرسل والمنقطع فيدخل فيها الخلل، فإنه إذا جمع طرق الحديث يظهر أنه كم من مرسل لا أصل له، وكم من مرسل يخالف مسندا، فقرر ألا يأخذ بالمرسل إلا عند وجود شروط، وهي مذكورة في كتب الأصول.

ومنها: أنه لم تكن قواعد الجمع بين المختلفات مضبوطة عندهم، فكان يتطرق بذلك خلل في مجتهداتهم، فوضع لها أصولاً، ودونها في كتاب، وهذا أول تدوين كان في أصول الفقه ، مثاله ما روى أنه دخل على محمد بن الحسن وهو يطعن على أهل المدينة في قضائهم بالشاهد الواحد مع اليمين، ويقول هذا

زيادة على كتاب الله. فقال الشافعي: أثبت عندك أنه لا تجوز الزيادة على كتاب الله بخبر الواحد؟ قال نعم: قال: فَلِمَ قلتَ: إن الوصية للوارث لا تجوز لقوله صلى الله عليه وسلم "ألا لا وصية لوارث"، وقد قال تعالى: "كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت" الآية، وأورد عليه أشياء من هذا القبيل فانقطع كلام محمد بن الحسن.

ومنها: أن بعض الأحاديث الصحيحة لم يبلغ علماء التابعين ممن وسد إليهم الفتوى فاجتهدوا بآرائهم، أو اتبعوا العمومات، أو اقتدوا بمن مضى من الصحابة فأفتوا حسب ذلك، ثم ظهرت بعد ذلك في الطبقة الثالثة فلم يعملوا بها ظناً منهم أنها تخالف عمل أهل مدينتهم وسنتهم التي لا اختلاف لهم فيها، وذلك قادح في الحديث وعلة مسقطة له، أو لم تظهر في الثالثة وإنما ظهرت بعد ذلك عندما أمعن أهل الحديث في جمع طرق الحديث، ورحلوا إلى أقطار الأرض، وبحثوا عن حملة العلم، فكثر من الأحاديث ما لا يرويه من الصحابة إلا رجل أو رجلان، ولا يرويه عنه أو عنها إلا رجل أو رجلان وهلم جرا، فخفى على أهل الفقه، وظهر في عصر الحفاظ الجامعين لطرق الحديث كثير من الأحاديث، رواه أهل البصرة مثلاً، وسائر الأقطار في غفلة منه ، ثم إذا ظهر عليهم بعد رجعوا من اجتهادهم إلى الحديث، فإذا كان الأمر على ذلك لا يكون عدم تمسكهم بالحديث قدحاً فيه، اللهم إذا بينوا العلة القادحة... [1].

ويجعل الشيخ شاه ولي الله الدهلوي هذا سبباً رئيسياً في تدوين أصول الفقه في كتابه (الإنصاف) فيقول: "فإن قلت: ما السبب في أن الأوائل لم يتكلموا في أصول الفقه كثير كلام، فلما نشأ الشافعي تكلم فيها كلاماً شافياً وأفاد وأجاد؟ يجيب عن السؤال بقوله: "سببه أن الأوائل كان يجتمع عند كل واحد منهم أحاديث بلده وآثاره، ولا تجتمع أحاديث البلاد، فإذا تعارضت عليه الأدلة في

(١) حجة الله البالغة، ج١، ص٣٠٩ ــ ٣١٠.

أحاديث بلده حكم في ذلك التعارض بنوع من الفراسة بحسب ما تيسر له، ثم اجتمع في عصر الشافعي أحاديث البلاد جميعها، فوقع التعارض في أحاديث البلاد، وكثر الشغب، وهجم على الناس من كل جانب من الاختلافات ما لم يكن بحسابه فبقوا متحيرين مدهوشين، لا يستطيعون سبيلاً، حتى جاء تأييد من ربهم، فألهم الشافعي قواعد جمع هذه المختلفات، وفتح لمن بعده بابا وأي باب"[١].

ومنها: أنه رأى قوماً من الفقهاء يخلطون الرأي الذي لم يسغه الشرع بالقياس الذي أثبته، فلا يميزون واحداً منهما عن الآخر ويسمونه تارة بالاستحسان ــ وأعني بالرأي أن ينصب مظنة حرج أو مصلحة علة الحكم، وإنما القياس أن تخرج العلة من الحكم المنصوص، ويدار عليها الحكم ــ فأبطل هذا النوع أتم إبطال، وقال: من استحسن فإنه أراد أن يكون شارعاً، حكاه ابن الحاجب في (مختصر الأصول)"[٢].

المبحث الأول :التعريف بالرسالة وأهميتها[٣]:

إن كتاب (الرسالة) هو فاتحة الكتب الأصولية، بل لقد نشأ علم (أصول الفقه) من خلاله ، وكان سبب كتابته دعوة ورغبة مخلصة جاشت بقلب أحد كبار المحدثين ؛ عبدالرحمن بن مهدي الذي رأي بثاقب نظره أن الشافعي على حداثة سنه هو القادر والمهيأ على تحقيق هذه الرغبة التي من خلالها تتضح ضوابط الاجتهاد وتستقيم سبل معرفة النصوص الشرعية وتعرف دلالتها، فكتب كما يقول البيهقي (إلى الشافعي ــ وهو شاب ــ أن يضع له

(١) الإنصاف في أسباب الخلاف، ص٣٦.

(٢) المصدر السابق جـــ١، ص٣١١.

(٣) اعتمدنا في هذا المبحث على كتاب (تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية) للشيخ مصطفى عبد الرازق، وكذلك كتاب (الفكر الأصولي) د. سليمان عبد الوهاب.

كتاباً فيه معاني القرآن، ويجمع قبول الأخبار فيه وحجة الإجماع وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن، فوضع له كتاب الرسالة)، ثم هيأت الأقدار للشافعي سبباً يعضده في الاستجابة لطلب شيخه، وأعني به الحافظ علي بن المديني الذي حث الشافعي بقوله: (أجب عبدالرحمن بن مهدي عن كتابه، فقد كتب إليك يسألك وهو متشوق إلى جوابك فأجابه الشافعي وهو كتاب الرسالة)، وعندما وصلته بغيته وجاءته الرسالة هاله ما فيها من علم وفقه ودراسة واسعة بمعاني النصوص ودلالتها ومناهج الاستنباط وطرقه، فعبر عن سعادته بها بكلمة موحية؛ إذ قال: (لما نظرت في كتاب الرسالة لمحمد بن إدريس لأني رأيتها كلام رجل عاقل فقيه ناصح وإني لأكثر الدعاء له)[١] ، وفي رواية للبيهقي: هذا كلام رجل مفهم، وقال أيضاً: ما ظننت أن يكون في هذه الأمة اليوم مثل هذا الرجل ، وفي رواية أخرى: إني لأدعو الله للشافعي في كل صلاة أو كل يوم ؛ لما فتحه الله عليه من العلوم ووفقه للسداد فيه، وهكذا كان الدعاء للشافعي هو التقدير الأمثل من العلماء .

ولم يقتصر الأمر على عبدالرحمن بن مهدي وإنما يشاركه فيه كل العلماء والفقهاء، وعلى رأسهم يحيى بن سعيد القطان وهو من كبار المحدثين أيضاً[٢] ، إذا الأمر كما قال الإمام أحمد: "ما أحد مس محبرة ولا قلماً إلا للشافعي في عنقه منة" ، فكتابه (الرسالة) هو الأداة التي كشفت عن معدن الإمام الشافعي الفقهي والعلمي وبوأته مكانته الرفيعة في سماء الفكر الإسلامي ؛ إذ لم يقتصر الإعجاب به على الشيخين السابقين وإنما يشاركهما في ذلك سائر العلماء ؛ ومنهم الإمام أحمد بن حنبل الذي يقول في أثر الشافعي ورسالته عليه:(ما علمنا المجمل من المفصل، ولا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من

(١) المناقب: ٢٣٠ ، والسير: ٤٤ ، المقفي: ٣٥٦.

(٢) الحلية: ٩٧/٩ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ٥٥/١٠.

منسوخه حتى جالسنا الشافعي)، يظهر أيضاً تقدير الإمام أحمد لكتاب الرسالة وإعجابه به من صنيعه مع إسحاق بن راهويه الذي بعث إليه أن ينقل بعض كتب الشافعي الذي يرى أنه بحاجة إليها، فيرسل إليه بكتاب (الرسالة) قائلاً له فيه: (قد أنفذت إليك من كتبه كتاباً يدلك على عوام أصول العلم)[١].

أما المزني فله في تفضيل الرسالة منحى آخر يتمثل في قوله: (قرأت كتاب الرسالة للشافعي خمسمائة مرة ما من مرة إلا واستفدت منها فائدة جديدة لم أستفدها في الأخرى)[٢] ، وفي رواية أخرى: أنا أنظر في كتاب الرسالة عن الشافعي منذ خمسين سنة ما أعلم إني نظرت فيه من مرة إلا وأنا أستفيد شيئاً لم أكن عرفته[٣]، وفي رواية ثالثة عن المزني أيضاً: كتبت الرسالة منذ زيادة على أربعين سنة وأنا أقرؤه وأنظر فيه ويُقرأ عليَّ فما من مرة قرأه أو قرئ عليَّ إلا واستفدت منه شيئاً لم أكن أحسنه[٤].

ونظراً لهذه الأهمية التي اكتسبتها الرسالة تضافر عليها الأصوليون والفقهاء ينهلون منها، كما أثارت اهتمام العلماء فجعلوا يروونها ويتناولونها بالشرح والتفسير والتقدير والتعليق، ومن أشهر هؤلاء العلماء:

١ ــ محمد بن عبدالله أبو بكر الصيرفي المتوفى سنة٣٣٠هـ (٩٣٢م): ففى ترجمته في (طبقات الشافعية الكبرى) لابن السبكي: "الإمام الجليل الأصولي أحد أصحاب الوجوه المسفرة عن فضله، والمقالات الدالة على جلالة قدره، وكان يقال أنه أعلم خلق الله تعالى بالأصول بعد الشافعي، ومن تصانيفه (شرح الرسالة)، "وذكر له صاحب (الفهرست) من الكتب في الأصول كتاب

(١) المناقب للبيهقي: ٢٣٤.

(٢) المناقب: ٢٣٦.

(٣) المناقب: ٢٣٦.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٦٧/٥١.

(البيان في دلائل الأعلام على أصول الأحكام)، وكتاب (شرح رسالة الشافعي)، وقال صاحب (كشف الظنون): "ومن شروحها ــ أي الرسالة ــ (دلائل الأعلام) للصيرفي"، فجعل الكتاب الأول شرحاً للرسالة ، وذكر صاحب الفهرست من كتب الصيرفي: "كتاب (نقض عبيد الله بن طالب الكاتب لرسالة الشافعي)".

٢ ــ ومنهم حسان بن محمد القرشي الأموي أبو الوليد النيسابوري المتوفي سنة٣٤٩هـ (٩٦٠م) : حيث ذكر صاحب (كشف الظنون) أنه شرح (الرسالة)، وذكر الزركشي في (البحر المحيط) شرحه للرسالة فيما عنده من كتب الفن؛ أي فن الأصول.

٣ ــ ومنهم محمد بن علي بن إسماعيل القفال الكبير الشاشي المتوفي سنة ٣٦٥هـ (٩٧٥ ــ ٩٧٦م): قال صاحب (طبقات الشافعية الكبرى) "كان إماماً في التفسير وإماماً في الحديث وإماماً في الكلام وإماماً في الأصول وإماماً في الفروع".

وقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي: "كان إماماً وله مصنفات كثيرة ليس لأحد مثلها، وهو أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء، فله كتاب في أصول الفقه، وله شرح الرسالة وعنه انتشر فقه الشافعي في ما وراء النهر"، وذكر في (البحر المحيط) للزركشي وفي (كشف الظنون) وفي (الطبقات): "وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر: بلغني أنه كان مائلاً عن الاعتدال، قائلاً الاعتزال في أول أمره، ثم رجع إلى مذهب الأشعري".

٤ ــ ومنهم الحافظ أبو بكر الجوزقي[١]، ومحمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري الشيباني توفى سنة٣٧٨هـ (٩٩٨ ت ٩٩٩م): وفي (طبقات الشافعية): "كان أبو بكر أحد أئمة المسلمين علماً ودينا، وكان محدث نيسابور"،

(١) جوزق: قرية من قرى نيسابور ــ انظر: معجم البلدان ١٨٤/٢ ط ، دار الفكر.

ولم يذكر شرحه للرسالة في الطبقات، لكن الزركشي وصاحب (كشف الظنون) ذكراه، قال الزركشي في (البحر المحيط) في الكلام على ما عنده من كتب الفن: "فمن كتب الإمام الشافعي، رضي الله عنه، (الرسالة) و(اختلاف الحديث)، و(أحكام القرآن)، ومواضع متفرقة من (الأم) و(شرح الرسالة) للصيرفي، والقفال الشاشي، والجويني[1]، ولأبي الوليد النيسابوري وكتاب القياس للمزني" ، أما صاحب (كشف الظنون) فيقول: "رسالة الشافعي في الفقه على مذهبه وهي مشهورة بينهم، ورواها عنه جماعة وتنافسوا في شرحها، فشرحها أبو بكر محمد بن عبد الله الشيباني الجوزقي النيسابوري المتوفي سنة٣٨٨هـ (٩٩٨م)، والإمام محمد بن علي القفال الكبير الشاشي المتوفي سنة٣٦٥ ـ (٩٧٥ ـ ٩٧٦م)، وأبو الوليد حسان بن محمد النيسابوري القرشي الأموي المتوفي سنة٣٤٩هـ (٩٦٠م)، وأبو بكر محمد بن الصيرفي سنة٣٣٠هـ (٩٤١ ـ ٩٤٢م) واسمه: (دلائل الأعلام)، ذكره في (شرح الألفية)، وشرحها أبو زيد عبدالرحمن الجزولي، ويوسف بن عمر وجمال الدين.. وابن الفاكهاني أبو القاسم بن عيسى بن ناجي"[2] ، والشراح الذين تناولوا رسالة الشافعي كانوا ما بين متكلمين وفقهاء، فنزع كل فريق منهم المنزع المناسب لفنه، فعنى الفقهاء بجانب الاستنباط والتفريغ في الرسالة، وعنى المتكلمون بما توحى به مباحث الكلام[3].

(١) الشيخ أبو محمد الجويني عبد الله بن يوسف والد إمام الحرمين كان يلقب بركن الإسلام، له المعرفة التامة بالفقه والأصول والنحو والتفسير والأدب ـ توفى سة٤٣٨هـ (١٠٤٦م).

(٢) كشف الظنون، طبعة تركيا: جـ١ ص٨٧٣.

(٣) انظر في ذلك (تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية) للشيخ مصطفى عبد الرازق ص٢٤٥ جـ١ النهضة المصرية.

المبحث الثاني : الموضوعات الرئيسية في "الرسالة" وخصائصها:

افتتح الإمام الشافعي "الرسالة" بخطبة مسهبة تدور حول أهمية رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للبشرية جمعاء، وبين فيها أهمية الكتاب العزيز، وقد اشتملت على العناصر الرئيسية التالية: الناس قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وأنهم صنفان: إما أهل كتاب وإما أهل كفر ، بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ومزاياها، وأنه صلى الله عليه وسلم سبب كل خير، تنزيل الكتاب العزيز ونقله للبشرية من الكفر والعمى إلى الضياء والهدى، ما أنزل الله في الكتاب العزيز رحمة وحجة ، حيث طلبة العلم على بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علوم القرآن، شمول الكتاب العزيز "فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها" ، ثم ذكر من الآيات ما يشير إلى هذا المعنى، والأغراض التي من أجلها نزل القرآن الكريم، ومن جملة ذلك تبيين الرسول صلى الله عليه وسلم للناس ما نزل إليهم من القرآن.

وهذه الخطبة في عناصرها التي اشتملت عليها أوحى بها الواقع للمجتمع العلمي الذي كانت تعيشه كلتا المدرستين: أهل الحديث في الحجاز، وأهل الرأي في العراق ، ففي خطبة الكتاب ينعي الإمام الشافعي على الأمة الخلاف في الدين، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد حسم ببعثته الخلاف بالنسبة للماضيين من أهل الكتاب وأهل الكفر، وما خلفه بعده من كتاب وسنة جدير أن يقوم بمثل ذلك الدور إذا تفهمناها حق الفهم، ومن ثم بدأ يضع المقاييس والموازين من قواعد وقوانين مستفادة من مصادرها يحتكم إليها عند الاختلاف، ثم تلا ذلك "باب كيفية البيان" بدأ أولاً بتعريف البيان وأنه: "اسم جامع لمعان مجتمعة الأصول، متشعبة الفروع وهو يعني بهذا ما فعله بعد ذلك من أقسام البيان الأربعة وهي:

١ــ ما أبان الله لخلقه نصاً.

٢ــ ما أحكم فرضه بكتابه، وبين كيف هو على لسان نبيه.

٣ ــ ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس لله فيه نص حكم.

٤ ــ ما فرض الله على خلقه الاجتهاد في طلبه.

المبحث الثالث: كتابة الرسالة:

أما عن كتابتها وتأليفها فالمقطوع به أنها كتبت مرتين: المرة الأولى كتبها الشافعي وهو شاب في مقتبل العمر على ما مر ببغداد ، وفي هذا يقول الرازي: (واعلم أن الشافعي صنف كتاب الرسالة ببغداد)[١]، في حين يذهب كل من الشيخين شاكر وأبي زهرة إلى أنها كتبت بمكة[٢]، والأمر قريب ، أما المرة الثانية فقد كتبت بمصر بعد قدوم الشافعي إليها، وفي هذا يقول البيهقي: (ثم إن الشافعي حين خرج إلى مصر وصنف الكتب المصرية أعاد تصنيف كتاب (الرسالة)، وفى كل واحد منها بيان أصول الفقه ما لا يستغن عنه أهل العلم[٣]، ويبدو أن الإمام الشافعي عندما أعاد كتابتها أرسل نسخة منها إلى أحمد بالعراق، حيث وجد في تركته كلا الرسالتين القديمة والجديدة.

وقد اكتسبت الرسالة هذه التسمية من إرسالها أول مرة إلى عبد الرحمن بن مهدي، أما الشافعي فقد كان يطلق عليها (الكتاب) أو ما شابه ذلك ، والظاهر أنها كانت من أواخر ما كتبه الشافعي بمصر ؛ إذ كتب قبلها كثيرًا من أبواب (الأم) أو كتب (الأم) بتعبير الشيخ شاكر[٤]، وكأن هذا الباب هو خطة الكتاب "الرسالة"، فإن معظم موضوعاتها إن لم تكن كلها تدخل ضمن واحد من تلك العناصر الأربعة الرئيسية.

---

(١) مناقب الشافعي: ١٥٧.

(٢) انظر: الرسالة للشيخ شاكر: ١٠، الشافعي لابن زهرة: ٢٧.

(٣) المناقب: ٢٣٤.

(٤) انظر مقدمة الشيخ شاكر.

فمن ثم بدأ أولاً: بموضوعات الكتاب العزيز وبيانه، ثم نفذ من ذلك إلى دراسة موضوعات السنة النبوية المصدر الثاني للأحكام الشرعية، وعلاقة السنة بالكتاب ثانياً، وقد مهد لها مع نهاية الموضوع الأول فجاء "باب فرض الله طاعة رسول الله مقرونة بطاعة الله ومذكورة وحدها"، كما نوه في مقدمة دراسته عن الخطة التي سيسير عليها والموضوعات التي سيبحثها فقال:"فأول ما نبدأ به من ذكر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كتاب الله: ذكر الاستدلال بسنته على الناسخ والمنسوخ من كتاب الله، ثم ذكر الفرائض المنصوصة التي سن رسول الله معها، ذكر الفرائض الجمل التي أبان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله كيف هي ومواقيتها، ثم ذكر العام من أمر الله الذي أراد به العام، والعام الذي أراد به الخاص، ثم ذكر سنته فيما ليس فيه نص كتاب" ، وتناول كل موضوع من هذه الموضوعات بالتفصيل، وضرب الأمثلة من القرآن والسنة، ثم تطرق إلى وجوه الاختلاف في الآثار وطريقة الأخذ بها، وخصص باباً للعلم بالأحكام الشرعية مما لا يسع أحد الجهل به، وما كان منها مختصاً بالخاصة من المتخصصين، وخبر الواحد وحجيته، وقد أفاض فيه القول، استغرق هذا البحث ما يقارب نصف الكتاب، ثم الإجماع وحجيته، وأن جماعة الأمة لا تجتمع على خلاف لسنة رسول الله ولا على خطأ، ثم القياس وحجيته وشروطه الأساسية، وألحق به الاجتهاد إبتداء ثم الاستحسان وعدم جواز ما كان منه على غير قياس صحيح، وأنه في الحقيقة تلذذ من صاحبه ، ثم باب الاختلاف وذكر فيه المذموم منه والممدوح وأنهاه بموضوع "أقاويل الصحابة" والاستدلال بها.

المبحث الرابع :خصائص الرسالة :

فقد حوت مجموعة من الخصائص العلمية يقف عليها الباحث بالتأمل البسيط نذكر من ذلك أهمها:

أولاً: يجمل في مقدمة كل موضوع رئيسي مجموعة الموضوعات التي سيتعرض لبحثها، معتنياً بترتيبها وتسلسل موضوعاتها، وليس هذا فقط بالنسبة للموضوعات كأجزاء ، بل سار على الطريقة نفسها في تصور الكتاب وموضوعاته ككل؛ إذ بناه أساساً على (الكتاب)، وكان بيان الكتاب الكريم هو منطلق مباحثه ، وعلى أساسه رسم خطة الكتاب، أعقبها بمباحث السنة، ثم الإجماع، فالقياس، فالاجتهاد، فالاستحسان، مما يدل على وضوح تلك المعاني في ذهنه، وسابق تصوره لها قبل تدوينها، فجاء الكتاب لوحة علمية بديعة متناسقة المعاني، مهذبة الجوانب ، وبهذا العمل العلمي الجليل يعد الشافعي من أول من وضع خطة متكاملة في البحث في أصول الفقه، جرى عليه من أتى بعده من الأصوليين.

ثانياً: القواعد الأصولية المدونة بالرسالة منها ما كان استخراجها اجتهاداً منه واستنباطاً ؛ فمن ذلك موقفه من أقاويل الصحابة وخلوصه في الموضوع بعد المناقشة إلى قوله: "... قال: فإلى أي شيء صرت من هذا؟ قلت: إلى اتباع قول واحد إذا لم أجد كتاباً أو سنة ولا إجماعاً، ولا شيئاً في معناه يحكم له بحكمه، أو وجد معه قياس ، وقل ما يوجد من قول الواحد منهم لا يخالفه غيره من هذا ".

ومنها ما كان نقلاً عن السابقين، ومن ذلك قوله في باب الإجماع: "فما حجتك في أن تتبع ما اجتمع الناس مما ليس فيه نص كتاب ولم يحكوه عن النبي؟ أتزعم ما يقول غيرك أن إجماعهم لا يكون أبداً إلا على سنة ثابتة؟ قال: فقلت له: أما ما اجتمعوا عليه فذكروا أنه حكاية عن رسول الله ؛ فكما قالوا إن شاء الله ، وأما ما لم يحكوه فاحتمل أن يكون قالوا حكاية عن رسول الله، واحتمل غيره ، ولا يجوز أن نعده له حكاية؛ لأنه لا يجوز أن يحكي إلا مسموعاً، ولا يجوز أن يحكي شيئاً يتوهم يمكن فيه غير ما قال. فكنا نقول بما

قالوا به اتباعاً لهم، ونعلم أنهم إذا كانت سنن رسول الله لا تعزب عن عامتهم، وقد تعزب عن بعضهم، ونعلم أن عامتهم لا تجتمع على خلاف لسنة رسول الله ﷺ، ولا على خطأ إن شاء الله تعالى.

ومنها ما كان استقراء لكلام العرب وأساليبهم، والأدلة من الكتاب والسنة، وهو ظاهر في الكثير منها، ومن ذلك استقراؤه للآيات من القرآن فيما يتصل بفرض الكفاية، وقد جعله درجة من العلم ليس تبلغها العامة، ولم يبلغها كل الخاصة، ومن احتمل بلوغها من الخاصة فلا يسعهم كلهم كافة أن يعطلوها، وإذا قام بها من خاصتهم من فيه الكفاية لم يحرج غيره من تركها إن شاء الله ؛ والفضل فيها لمن قام بها على من عطلها".

ثم استطرد في ذكر الأدلة على ذلك، كما ذكر الأدلة على أنه إذا قام بعض العامة بالكفاية أخرج المتخلفين من المآثم.

ثالثاً: إقامة الأدلة على تلك القواعد من الكتاب والسنة، وتأييدها بالشواهد من اللغة العربية.

رابعاً: العبارات الاصطلاحية الأصولية لم يرد ذكر بتعريفها كما جرت العادة للأصوليين وغيرهم فيما بعد، فيذكر مثلاً الكتاب والسنة والإجماع والقياس فيناقش أحكامها، ويعالج عوارضها، مما يدل على ثبوت معانيها ووضوحها لدى العلماء المتخصصين في فنون الشريعة، وعدم تأثرهم بعلوم الفلسفة والمنطق.

خامساً: الإكثار من الاستشهاد من الكتاب والسنة واللغة لزيادة الإيضاح والتطبيق لكثير من القضايا في أصول الشريعة وفروعها.

سادساً: الدقة العلمية والتحري في تحقيق المسائل التي ناقشها وعالج موضوعاتها، يقول الأستاذ أحمد محمد شاكر: "إن أبواب الكتاب ومسائله التي عرض الشافعي فيها للكلام على حديث الواحد، والحجة فيه، وإلى شروط صحة

الحديث، وعدالة الرواة، ورد الخبر المرسل، والمنقطع، إلى غير ذلك مما يعرف من الفهرس العلمي في آخر الكتاب ، هذه المسائل عندي أدق وأغلى ما كتب العلماء في أصول الحديث، بل إن المتفقه في علوم الحديث يفهم أن ما كتب بعده إما هو فروع منه ، أو عالة عليه، وأنه جمع ذلك، وصنفه على غير مثال سبق،"[1] وإذا كان هذا بالنسبة للمخالفين له في الرأي؛ إذ يعرض أقوالهم مؤيدة بأدلتهم وبما معهم من حجج قوية، ثم يعود عليها بالنقض في أسلوب العلماء، ولهجة الحكماء، ويلاحظ في مسائل الخلاف عدم التنويه بأسماء المخالفين تماماً؛ إذ إن جل قصده تحقيق المسائل وتحرير الموضوعات.

سابعًا: لم تكن الرسالة متمحضة خالصة للموضوعات الأصولية بل تعرضت أيضًا لمناقشة كثير من الموضوعات الفقهية استشهاداً للقواعد الأصولية التي يريد إبرازها وتحليلها، وهذه ظاهرة ملموسة في كل موضوع أصولي ناقشه الإمام الشافعي في الرسالة، بالإضافة إلى ذكره أبواباً من الفقه بصورة مستقلة، مثل صنيعه في باب: "الفرائض التي أنزل الله نصاً"، فقد ذكر تحت هذا الباب جمل الفرائض، كالصلاة والحج ومحرمات النساء ومحرمات الطعام، والآيات والأحاديث التي وردت بصددها، مع مناقشتها، وهو يذكرها لمناسبتها للموضوع الأصولي الذي هو بصدده.

ثامنا: التحليل المفصل المشبع لما يتعرض له من المسائل والموضوعات، أصولية كانت أم فقهية ، وكثيراً ما يلجأ إلى ذكر الاحتمالات العقلية للموضوع ليخلص منها إلى الاحتمال الصحيح[2].

---

(١) مقدمة الرسالة أحمد محمد شاكر، ص١٣.

(٢) انظر هذه الخصائص في (الفكر الأصولي) د. سليمان عبد الوهاب ص٨٣ وما بعدها، وانظر كذلك (تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية) للشيخ مصطفى عبد الرازق ص٢٣٧ وما بعدها.

المبحث الخامس : منهج الإمام الشافعي في الرسالة :

درج الإمام الشافعي في معالجة ومناقشة الموضوعات الأصولية على منهج محدد وطريقة ثابتة التزمها في الرسالة، ذلك أنه يطرح القاعدة أو القضية الأصولية في البداية، ثم يذكر الشواهد من القرآن أو السنة لتلك القضية، ثم يعقب عليها بتحليل كافٍ لها، مع التأكيد على المناسبة الموضوعية بين القضية والشواهد التي ذكرها، ويجعل من ذلك برهاناً على القضية التي طرحها أو القاعدة التي أثبتها، ولنقدم مثلاً من هذا المنهج السوي الذي التزمه، ففي نهاية "باب البيان الخامس" يقول: قال الشافعي: "فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاماً ظاهراً يراد به العام الظاهر، ويستغني بأول هذا منه عن آخره، وعاماً ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، وظاهراً يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام، أو وسطه، أو آخره...".

يمهد الشافعي في القطعة السابقة إلى دراسة الموضوعات، أو القضايا أو القواعد الأصولية التي تضمنتها الرسالة دراسة تحليلية مفصلة، يفرد كل واحدة منها بالبحث والدراسة في باب مستقل، وهنا نعرض نموذجاً يشير بجلاء ووضوح إلى المنهج الذي التزمه باختيار ما جاء تحت هذا العنوان "باب بيان ما نزل من الكتاب عاماً يراد به العام ويدخله الخصوص"، والعنوان هذا بمثابة قاعدة أصولية، أو بالأحرى قضية أصولية تحتاج إلى إثبات فيبدأ بحثها بقوله: "وقال الله تبارك وتعالى: (الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل)، وقال تبارك وتعالى: (خلق السماوات والأرض): وقال (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها)، فهذا عام لا خاص فيه ، قال الشافعي: فكل شيء من سماء وأرض ذي روح وشجر وغير ذلك فالله خلقه، وكل دابة فعلى الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها، وقال الله: (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب

أن يتخلفوا عن رسول الله، ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه). وهذا في معنى الآية قبلها، وإنما أريد به من أطاق الجهاد من الرجال، وليس لأحد منهم أن يرغب بنفسه عن نفس النبي، أطاق الجهاد أو لم يطقه، ففي هذه الآية الخصوص والعموم.

وقال: "والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها"، وهكذا قول الله: "حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما"، وفي هذه الآية دلالة على أن لم يستطعما كل أهل القرية فهي في معناهما، وفيهما وفي "القرية الظالم أهلها" خصوص؛ لأن كل أهل القرية لم يكن ظالماً وقد كان فيهم المسلم، ولكنهم كانوا فيها مكسورين، وكانوا فيها أقل ، وفي القرآن نظائر لهذا يكتفى بها إن شاء الله منها، وفي السنة نظائر موضوعة مواضعها"[1].

ومن إبداع الشافعي في هذا العرض أن يقدم قدراً كافياً من الشواهد دون إيجاز أو إسراف، فإن الإيجاز يصحبه الغموض وعدم وضوح الفكرة، كما أن الإسراف والإكثار من الشواهد يخل بتماسك الموضوعات وترابطها، فتبدو متباعدة، بالإضافة إلى أن ما زاد على إيضاح القاعدة وإثباتها فضول وزيادة وحشو من القول، من شأنه إضعاف التأليف، واختلاف المنهج، وهو ما فطن له الإمام الشافعي، وحاول تفاديه فيما عرضه من موضوعات وقضايا ، ومنهجية الإمام الشافعي رضي الله عنه اقتضت عرض القواعد الأصولية، والبرهنة عليها في ضوء الكتاب الكريم بصورة مستقلة أولاً، ثم بصورة مشتركة مع السنة تارة أخرى، ويتمم دراسته لها أخيراً في السنة، وبذلك تكتمل عنده الدراسة، ففي مباحث الكتاب الكريم يذكر الأبواب التالية:

باب بيان ما نزل من الكتاب عاماً يراد به العام ويدخله الخصوص.

---

(١) الرسالة، ج١ ص٥٣.

باب بيان ما نزل من الكتاب عام الظاهر وهو يجمع العام والخصوص.

باب بيان ما نزل من الكتاب عام الظاهر يراد به الخاص.

باب الصنف الذي يبين سياقه معناه.

ففي هذه الأبواب جميعها يعرض لتلك القواعد الأصولية من الكتاب الكريم، ثم يتابع البحث لها في ضوء الكتاب والسنة معاً بحيث تتضح العلاقة بينهما، وهذا ما يقدم له بقوله: "وسنن رسول الله ﷺ مع كتاب الله وجهان: أحدهما: نص كتاب فاتبعه رسول الله ﷺ كما أنزل الله، والآخر جملة بين رسول الله ﷺ فيه عن الله معنى ما أراد بالجملة، وأوضح كيف فرضها عاماً أو خاصاً، وكيف أراد أن يأتي به العباد، وكلاهما اتبع فيه كتاب الله"(١) إلى أن يقول: "... وسأذكر مما وصفنا من السنة مع كتاب الله، والسنة فيما ليس فيه نص كتاب بعض ما يدل على جملة ما وصفنا منه إن شاء الله ، فأول ما نبدأ به من ذكر سنة رسول الله مع كتاب الله، ذكر الاستدلال بسنته على الناسخ والمنسوخ من كتاب الله، ثم ذكر الفرائض المنصوصة التي سن رسول الله ﷺ معها، ثم ذكر الفرائض الجمل التي أبان رسول الله ﷺ عن الله وكيفية مواقيتها، ثم ذكر العام من أمر الله الذي أراد به العام، والعام الذي أراد به الخاص، ثم ذكر سنته فيما ليس فيه نص كتاب".

وبعد هذه الخطة العلمية المفصلة يبدأ الجانب التحليلي المفصل لكل موضوع ذكره فيها، ومن أهم المباحث الأصولية التي ناقشها الإمام الشافعي مناقشة علمية صريحة وجريئة العلل في الأحاديث، وكتابته فيها تعد أنفس ما دونته الأقلام، يذكر في بداية العرض خلاصة الاعتراضات الواردة على السنة فيقول: "قال الشافعي: قال لي قائل: فإنا نجد من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث في القرآن مثلها نصاً، وأخرى في القرآن مثلها جملة ،

---

(١) المصدر نفسه، جـ١ ، ص٩١.

وفي الأحاديث منها أكثر مما في القرآن، وأخرى ليس منها شيء في القرآن، وأخرى متفقة، وأخرى مختلفة، ناسخة ومنسوخة، وأخرى مختلفة ليس فيها دلالة على ناسخ ولا منسوخ، وأخرى نهى لرسول الله ﷺ، فتقولون: ما نهى عنه حرام، وأخرى لرسول الله ﷺ فيها نهى فتقولون: نهيه وأمره على الاختيار لا على التحريم، ثم نجدكم تذهبون إلى بعض المسائل المختلفة من الأحاديث دون بعض، ونجدكم تقيسون على بعض حديثه، ثم يختلف قياسكم عليها، وتتركون بعضاً فلا تقيسون عليه، فما حجتكم في القياس وتركه؟ ثم تفترقون بعد، فمنكم من يترك من حديثه الشيء ويأخذ بمثل الذي ترك، وأضعف إسناداً منه؟"(١).

ثم أجاب عن كل مسألة بطريقة علمية مسهبة، أفاض أولاً في الكلام على الناسخ والمنسوخ في الحديث مما فيه دلالة على النسخ، وما لا دلالة فيها على أيها ناسخ ومنسوخ، وأسباب اختلاف النقل عنه صلى الله عليه وسلم، نثر خلالها بعضاً من القواعد الأصولية انتهى فيه إلى القول: "وأما أن نخالف حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتاً عنه فأرجو ألا يؤخذ ذلك علينا إن شاء الله، وليس ذلك لأحد، ولكن قد يجعل الرجل السنة فيكون له قول يخالفها، لا أنه عمد خلافها، وقد يغفل المرء ويخطئ التأويل"، ثم يقدم بجمل يشرح فيها الطريقة التي سيسلكها في دراسته بقوله: "قال: فقال لي قائل: فمثل لي كل صنف مما وصفت مثالاً تجمع إلى فيه الإتيان على ما سألت عنه، بأمر لا تكثر على فأنساه، وأبدأ بالناسخ والمنسوخ من سنن النبي ﷺ وأذكر منها شيئاً مما معه القرآن، وإن كررت بعض ما ذكرت"، وانتظمت مباحث هذا الموضوع في الأبواب التالية: وجوه النسخ وأنواعه:

(١) المصدر نفسه، ص٢١٠.

- الأحاديث المختلفة التي لا دلالة فيها على ناسخ ولا منسوخ، والوجوه المتهددة في الاختلاف، اختلاف اللفظ بما لا يؤثر على حكم.
- اختلاف في اللفظ ينشأ عنه اختلاف الأحكام.
- ما يعد مختلفا وليس عنده بمختلف.
- وجه آخر مما يعد مختلفاً.
- وجه آخر في الاختلاف.

وفي تحليله لهذه المباحث يقرر قواعد أصولية مهمة في هذا المجال نورد بعضها فيما يلي:

أولاً: ما لم يكن فيه حكم فاختلاف اللفظ فيه لا يحيل معناه.

ثانياً: في الترجيح بين الأحاديث: "أن يكون أحد الحديثين أشبه بكتاب الله، فإذا أشبه كتاب الله كانت فيه الحجة.. فإن لم يكن فيه نص كتاب الله كان أولاهما بنا الأثبت منهما، وذلك أن يكون من رواه أعرف إسناداً وأشهر بالعلم وأحفظ له، أو يكون روى الحديث الذي ذهبنا إليه من وجهين، أو أكثر، والذي تركنا من وجه فيكون الأكثر أولى بالحفظ من الأقل، أو يكون الذي ذهبنا إليه أشبه بمعنى كتاب الله، أو أشبه بما سواهما من سنن رسول الله ﷺ ، أو أولى بما يعرف أهل العلم، أو أصح في القياس، والذي عليه الأكثر من أصحاب رسول الله"، وهذا يعد القانون الذهبي في الترجيح.

ثالثاً: "ينبغي لمن سمع الحديث أن يقول به على عمومه وجملته حتى يجد دلالة يفرق بها فيه بينه.

ثم ينتقل إلى الموضوع الثاني وهو النهي في السنة النبوية فيصنفها تحت العناوين التالية:

- النهي عن معنى دل عليه معنى في حديث غيره.
- النهي عن معنى أوضح من معنى قبله.
- النهي عن معنى يشبه الذي قبله في شيء غيره.

- وجه آخر من النهي.
- صفة نهي الله ونهي رسوله.

وقد ضمن هذه المباحث جملة من القواعد الأصولية أهمها:

أولاً: "حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الظاهر من العام حتى تأتي الدلالة عنه أو بإجماع المسلمين أنه على باطن دون ظاهر، وخاص دون عام، فيجعلونه بما جاءت عليه الدلالة".

ثانياً: "لا ينسب الحديثان إلى الاختلاف ما كان لهما وجهاً يمضيان معاً، إنما المختلف ما لم يمض إلا بسقوط غيره، مثل أن يكون الحديثان في الشيء الواحد هذا يحله وهذا يحرمه.

ثالثاً: "نهي التحريم لا يحل إلا بوجه دل الله عليه في كتابه، أو على لسان نبيه"[1] ، أما عن الجانب الفكري في الرسالة أو الفلسفي بتعبير الشيخ مصطفى عبد الرازق فقد أجلمه بقوله: ورسالة الشافعي كما رأينا تسلك في سرد مباحثها وترتيب أبوابها نسقاً مقرراً في ذهن مؤلفها، قد يختل اطراده أحياناً ويخفى وجه التتابع فيه، ويعرض له الاستطراد ويلحقه التكرار والغموض، ولكنه على ذلك كله بداية قوية للتأليف العلمي المنظم في فن يجمع الشافعي لأول مرة عناصره الأولى ، وإذا كنا نلمح في الرسالة نشأة للتفكير الفلسفي في الإسلام من ناحية العناية بضبط الفروع والجزئيات بقواعد كلية، وإن لم تغفل جانب الفقه، أي استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية، فإنا نلمح للتفكير الفلسفي في الرسالة مظاهر أخرى: منها هذا الاتجاه المنطقي إلى وضع الحدود والتعاريف أولاً، ثم الأخذ في التقسيم مع التمثيل والاستشهاد لكل قسم. وقد يعرض الشافعي لسرد التعاريف المختلفة ليقارن بينها، وينتهي به التمحيص إلى تخير يرتضيه منها ، ومنها أسلوبه في الحوار الجدلي المشبع بصور المنطق

(١) انظر في هذا: المصدرين السابقين خاصة (الفكر الأصولي).

ومعانيه، حتى لتكاد تحسبه لما فيه من دقة البحث ولطف الفهم وحسن التصرف في الاستدلال، والنقض ومراعاة النظام المنطقي، حواراً فلسفياً على رغم اعتماده على النقل أولاً بالذات واتصاله بأمور شرعية خالصة ، ومنها الإيماء إلى مباحث من علم الأصول تكاد تهجم على الإلهيات أو على الكلام، كالبحث في العلم، وأن هناك حقاً في الظاهر والباطن وحقاً في الظاهر دون الباطن، وأن المجتهد مصيبًا أو مخطئًا معذور، والفرق بين القرآن والسنة، وعلل الأحكام وترتيب الأصول بحسب قوتها وضعفها ، وقد استدل الشافعي على حجية السنة وما دونها من الأصول فلفت الأذهان إلى حجية القرآن نفسه، وهي مسألة وثيقة الاتصال بأبحاث المتكلمين(١).

المبحث السادس :طباعة الرسالة وفروق نسخها :

طبعت الرسالة عدة طبعات في المائة عام الأخيرة أو قبلها بقليل، ولعل أول هذه الطبعات هي طبعة (شرارة القباني) المطبوعة عام١٣١٥هـ، وقد جاء في ذيل هذه الطبعة ما يلي: (قد تم كتاب الرسالة للإمام الشافعي رضي الله عنه في يوم الأربعاء آخر ذي الحجة سنة ١٣٠٨هـ، وقد نقلت هذه النسخة من النسخة الموجودة بالكتبخانة الخديوية المكتوب بآخرها إجازة بخط الربيع بن سليمان صاحب الإمام الشافعي على يد ناقلها الفقير إليه تعالى محمد مصطفى الكاتب بالكتبخانة الخديوية سنة ١٣٠٨هـ. وقد فرغنا من كتابته نحن – أي الناسخ التالي لمحمد مصطفى– في يوم الأحد ١٤ صفر سنة١٣١٠هـ بالتمام والكمال والحمد لله على كل حال على ذمة العبد الفقير الشيخ سليم أحمد إبراهيم شرارة القباني)، وتقع هذه الطبعة في أربع وأربعين صفحة بينها ست صفحات لترجمة الشافعي والربيع، وهذه النسخة تتفق مع الأصل الذي اعتمده الشيخ

(١) تمهيد ص٢٤٤.

أحمد شاكر رحمه الله، فليس بينهما سوى قرون طفيفة لا ينظر إليها، من هنا فقد أغنانا صيغ الشيخ في تتبعه لقرون النسخ عن الإعادة هنا.

أما الطبعة التي سبقتها فكانت نسخة الطبعة العلمية بمصر عام ١٣١٢هـ وقد رمز لها الشيخ شاكر بحرف (ج)، ووصفها بأنها كثيرة الأخطاء، وتقع في ستين ومائة صفحة ، ولعل هذه الطبعة التي يشير إليها الشيخ هي التي أعادت نشرها المكتبة التجارية بعد ذلك والتي صدرت بعدة أبيات تفصح عن مكانة الرسالة وأهميتها وهي:

هـذي رسالة بحر علم زاخر طبعت فكانت نزهة الأبصار
حفظت بهـا للشافعـي مآثـر جمعت شريعـة سيد الأبرار
زادت مقـام الشافعـي جلالة ومهابـة لما بـدت بوقـار
طالعتهـا فرأيـت سحر بيانها سحراً حلالاً عالـي المقدار
جمعت أصول الفقه في فقراتها وبفضلـه فاقـت الأسفـار
فانهض أخي إلى اكتساب معا رف منها لتحظى بينها بفخار
وتنال من فضل الإمام مكارماً ترقى بها في سائر الأقطـار

ومما يرجح أن هذه النسخة هي ذات النسخة المطبوعة عام ١٣١٢هـ أن فروق النسخ التي يذكرها الشيخ شاكر موجودة بذاتها في النسخة التي بين أيدينا، فضلاً عن أنها تحمل نفس عدد الصفحات (١٥٩).

أما الطبعة الثالثة للرسالة فكانت عام ١٣٢١هـ وهي المعروفة بطبعة بولاق، وصدر بها كتاب (الأم) حيث شغلت الأربع والثمانين الأولى من الجزء الأول والذي هو من رواية الربيع بن سليمان المرادي.

ثم كانت الطبعة الرابعة بتحقيق الشيخ أحمد شاكر الذي كان رائداً في مجال التحقيق حتى عد شيخاً للمحققين، حيث راجع النسخ وأثبت الفروق فأغنانا

عن تتبعها تفادياً للتكرار من جهة، ولأنها في غالبها فروق طفيفة، ثم توالت الطبعات بعد ذلك ولكل وجهته.

على أنه من الأهمية هنا أن نشير إلى أننا لم نعز الأحاديث التي وردت بالرسالة لأمرين:

الأول: أن الشافعي محدث من الطراز الأول، فضلاً عن سبقه لمعظم المصادر الحديثية، ويكفي أن نقول هنا: إنه تلميذ مالك وشيخ ابن حنبل، وقد سبق في المقدمة ما يوضح ذلك.

الأمر الثاني: أن هذه الأحاديث صحيحة، فليس في تخريجها أو عزوها لمصادر أخرى كبير الفائدة.

كذلك لم نحفل بالترجمة والتعريف للأعلام الواردة فيها، حتى لا نثقل على القارئ وحتى نتركه يسير مع الشافعي في أصوله وفقهه إذ هما بيت القصيد.

بقيت كلمة أخيرة وهي أن العناوين التي بين المعكوفتين هي من صنيع الشيخ شاكر ــ رحمه الله ــ وكذا سائر العناوين الداخلية.

الخـــاتمة

أهم النتائج:

١- التزام الشافعي رحمه الله بمنهج الدليل في كل ما ثبت عنه في المسائل العقائدية والفقهية .

٢- تثبت عنده العقيدة بآية من كتاب الله أو بحديث عن رسول الله ﷺ .

٣- لم يأخذ بالأساليب الكلامية في جوانب التوحيد والإيمان .

٤- ثبت وبدون شك أن للشافعي مذهباً عقدياً صحيحا مؤسساً على أدلة موثقة من الكتاب والسنة النبوية المطهرة .

٥- تبين أن الإمام الشافعي رضي الله عنه يسلك مسلك السلف الصالح أصحاب النبي ﷺ في القول والعمل ويترسم خطاهم وينأى عن مخالفتهم ما قدر على ذلك.

٦- ملازمة الشافعي لهذيل وتأثره بلهجتها رضي الله عنه.

٧- من صفات الإمام الشافعي الشخصية رجاحة العقل، وعزة النفس، والسخاء.

٨- ثناء العلماء على الإمام الشافعي وتلاميذه رضي الله عنهم .

٩- من أهم الصفات العلمية للشافعي أنه لغوي ، وأديب ، ومحدث ، وفقيه .

أهم التوصيات:

- على الباحثين وطلبة العلوم الشرعية بذل المزيد من الجهد لاستخراج الكنوز العلمية الثمينة من بطون كتب فقهاء الأئمة الأربعة رضي الله عنهم .
- ترجمة البحوث العلمية إلى اللغات الأجنبية الأخرى وخاصة عن حياة فقهاء المذاهب الأربعة ، وخاصة جهودهم الفقهية، وما بذلوه خدمة لكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فهرس المصادر والمراجع

١. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير الطبعة الأولى١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

٢. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ، الناشر: دار الآفاق الجديدة بيروت.

٣. الأم، تأليف محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله ١٣٩٣هـ، الناشر دار المعرفة، بيروت.

٤. الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة ، تأليف: يوسف بن عبد الله القرطبى الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

٥. البداية والنهاية، تأليف: الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦. تاريخ بغداد، تأليف: أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي ،الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، الناشر : دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٧. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

٨. التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، أبو بكر البغدادى ط١، ١٤٠٨ه، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩. تهذيب الأسماء واللغات، النووى، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠. تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ دار الفكر.

١١. تهذيب الكمال، أبو الحجاج المزي، ط١ ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت.

١٢. توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس، دار الكتب العلمية بيروت ط١، ١٤٠٦هـ.

١٣. الثقات، تأليف: أبو حاتم التميمي البستي، ط١، ١٣٩٥ه، دار الفكر.
١٤. جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ط٢ ١٤٢٠ دار بن الجوزي.
١٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصفهاني، ط٤، ١٤٠٥،دار الكتاب العربي – بيروت.
١٦. الرسالة، تأليف: محمد ببن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد شاكر الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ، الناشر:مكتبة دار التراث بالقاهرة.
١٧. السنن الكبرى ، تأليف : البيهقي، الطبعة : الأولى ــ ١٣٤٤ هـ، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد.
١٨. سير أعلام النبلاء، أحمد بن عثمان الذهبي ، الطبعة التاسعة ١٤١٣ ه ١٩٩٣ م مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٩. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، تأليف: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ، الناشر: دار طيبة .
٢٠. شرح السنة ، الحسين بن مسعود البغوي، ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م دار النشر : المكتب الإسلامي – دمشق ــ بيروت .
٢١. شرح العقيدة الطحاوية، تأليف الإمام علي بن أبي العز الحنفي، حققها وراجعها مجموعة من العلماء، وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثامنة، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م طبعة المكتب الإسلامي بيروت .
٢٢. الشريعة ،تأليف الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ط١ ١٤٢٥هـ، الناشر دار الحديث، القاهرة .
٢٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه(صحيح البخاري)، تأليف : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن

المغيرة البخاري، تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ، الناشر : دار طوق النجاة.

٢٤. صحيح مسلم ،تأليف :الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، بدون رقم وتاريخ الطبعة، الناشر مكتبة الإيمان، القاهرة .

٢٥. الكوكب المنير شرح مختصر التحرير، تأليف: ابن النجار، أبو البقاء أحمد الفتوحي المصري، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي، الطبعة الأولى٢٠٠٧ ، الناشر: دار الكتب العلمية.

٢٦. مجموع الفتاوى، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني المتوفى: ٧٢٨هـ، تحقيق: أنور الباز – عامر الجزار الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، الناشر: دار الوفاء.

٢٧. مناقب الشافعي،تأليف أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي٤٥٨هـ، تحقيق السيد أحمد صقر،الطبعة الأولى١٣٩١هـ، الناشر مكتبة دار التراث، القاهرة.

* * *